موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

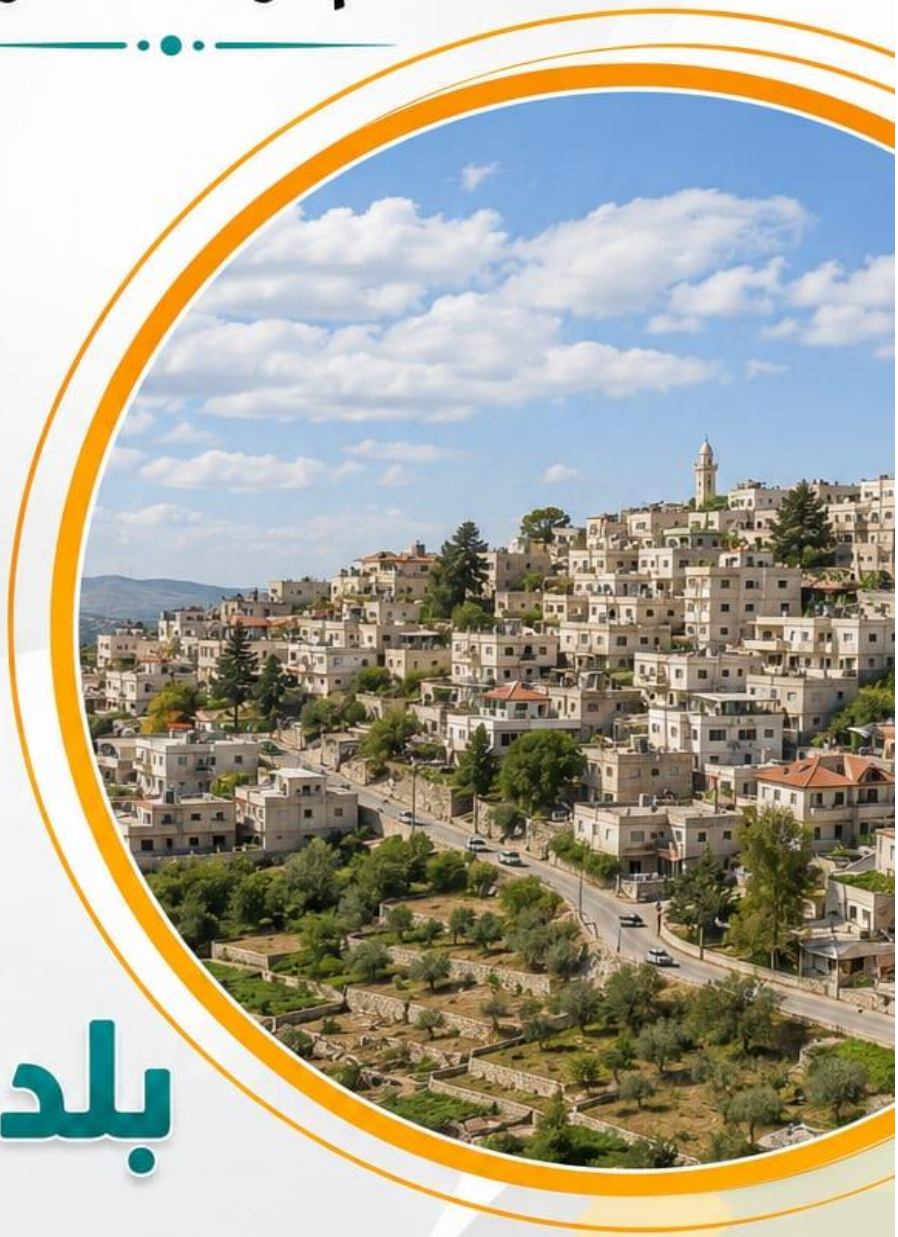

بلدة أرطاس

محافظة بيت لحم

الباحث والمؤرخ والتربوي

مروان الماضي

2026

موسوعة القرى الفلسطينية
Encyclopedia of Palestinian villages

بلدة أرطاس محافظة بيت لحم

تأليف
الباحث والمؤرخ والتربوي مروان الماضي

تدقيـــق لغوي: علاء الدين نمر

تصميـــــم الغلاف: محمد الدلو

إصدار
موسوعة القرى الفلسطينية- قسم دراسات القرى
2026

بلدة أرطاس محافظة بيت لحم

الفهرس

إهداء **7**

تقديم **8**

مقدمة **10**

الفصل الأول: لمحة جغرافية **11**

التسمية 11

الفترات الإسلامية والفترة العثمانية 12

فترة الحملات الصليبية وعودة السيطرة الإسلامية 13

الانتداب البريطاني 13

النكسة 13

الفصل الثاني: لمحة تاريخية **15**

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية **20**

الزراعة 20

الصناعة في البلدة 22

السياحة والآثار 27

الفصل الرابع: التعليم وأعلام بلدة أرطاس ومؤسساتها **30**

الفصل الخامس: الفولكلور الفلسطيني في بلدة أرطاس **35**

الطب الشعبي 35

العلاج الديني.. 36

في التقويم الشعبي (الجيد والمكروه من الحيوانات) 37

الألعاب الشعبية 38

الفصل السادس: الفولكلور الشعبي في بلدة أرطاس **43**

الفصل السابع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين **67**

الفصل الثامن: أدب المقاومة السلمية 71

الفصل التاسع: سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل" 78

الهجرة في زمن النكبة عام 1948م 80

وبعد عام 1967م 81

الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين 84

الانتفاضة الأولى:(انتفاضة الحجارة) 85

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) 87

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 88

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين نذكرهم بأهمية فلسطين

فلسطين هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعينان، تهفوا له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر والقلوب تبكي لفراقه وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمضِ ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه أجواء الكون تحمله موجات الأثير المسموع منها والمرئي والمقروء حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا مع أفريقية).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع كروم وزيتون وتين ولوزيات وحمضيات وهي أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج بالجرمق وكنعان بصفد وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت –435 م تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (يهودية- مسيحية- مسلمون).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة مصرية كنعانية بابلية آشورية كلدانية وآموريه ويونان وروما وفرس وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع من الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية والبن والصمغ اليمني والتمور العراقية والبروكار الحريري الدمشقي والسجاد الفارسي والزجاج الخليلي والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يُذكر اسم مروان الماضي، يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات، وامتلاك أدوات البحث والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. ولهذا كله، أو بسبب هذا كله، تعددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين. ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه، تستحوذ على فكره وعقله وإحساسه. ويدرك الأستاذ مروان أن الوطن "فلسطين" قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني، له أيديولوجية خاصة، وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود، ومحو الأسماء وطمس المعالم وسرقة الآثار وتشويه التاريخ وتزييف الوثائق ونفي الهوية الوطنية وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين، وأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة. ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض، على اعتبار أن فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية لماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها. ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في:

كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية. وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق، يهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام. ولهذا فإن كتاباته تندرج في إطار مواجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية، أي في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة "أدب" بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة، وهي مهمة وطنية وملحة في زمن محاولات التذويب والطمس والنفي، كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية. وعندما يكتب عن مدينة أو بلدة مثلاً، نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي، ثم ينتقل للبعد التاريخي والغزوات والتضحيات، ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، ثم إلى الحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم. وللمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث، إلى الفولكلور والغناء والدبكات، إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى. ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد حق الفلسطينيين عبر التاريخ.
- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.
- الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل ما يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف، لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر بحرارة الإخلاص والحس الوطني الصادق، وبالتماهي مع المكان وناسه وتاريخه، ويمنح العلم والمعرفة بأهمية بارزة، وإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د. شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني منذ دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموشاف)، واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي لمصلحتهم. ثم أخذ عددها ينمو ويتطور، وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية، وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من تلك المقاومة. وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب، الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلونه نسراً بلا جناح، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حماية الوطن. وليس على عدو افتراضي، هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها، ظالمة كانت أو مظلومة، رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل، هل هذا الحماس هو حباً باليهود أم كرهاً للعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً، سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا ذروة الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات. وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب، فإن الميزان ليس مستقراً في العالم، وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب، أمة للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول: لمحة جغرافية

أرطاس - هي قرية كنعانية عربية فلسطينية من قرى بيت لحم، عُرفت على مر العصور بمكانها الاستراتيجي بالغ الأهمية، نظراً لما تتمتع به من خصوبة ووفرة في مصادر المياه، وشهرتها في زراعة الخضار وأشجار الأجاص والدراق والبندورة.

تقع جنوب غرب مدينة بيت لحم، وتتبع إدارياً لمحافظة بيت لحم. وتقع على طريق (القدس - بيت لحم - الخليل)، بمجموع سفحين متقابلين بينهما وادٍ خصيب غني بمختلف المزروعات والأشجار. يحيط بها قرية الخضر من الغرب، ومن الشرق قرية الفواغرة، ومن الجنوب قرية ومخيم دهيشة من الشمال. [1]

التسمية

كلمة أرطاس من أصل لاتيني يوناني "Artasium" وتعني البستان أو الجنة. عرفت زمن الصليبيين باسم "Hortus Conclusus"أي الجنة المقفلة، وما زالت تحتفظ منذ ذلك الحين بهذا الاسم.

وهي قرية كنعانية قديمة، واشتهرت من خلال برك المياه الموجودة فيها والتي تعرف ببرك سليمان، وبعض المعالم الأثرية الأخرى. وقد عُرف عنها وفرة مصادر المياه، والتي تعد من أكبر الأنظمة المائية القديمة، والتي كانت تزود مدينة القدس بالمياه في الفترة الرومانية. ولقد تم إنشاء نظام الماء في الفترة الرومانية المبكرة في وادي أرطاس وتحديداً في الجزء العلوي منه، حيث عمل على تزويد مدينة القدس بالمياه بدلاً عن النظام المائي القديم. حيث تذكر المصادر التاريخية أن البركتين الأولى والثانية تم تشييدهما في تلك الفترة بهدف تجميع المياه من الينابيع المجاورة ومياه الشتاء المنحدرة من السفوح المحيطة، ونقلها إلى مدينة القدس. ولتنفيذ ذلك تم إنشاء ما لا يقل عن ست قنوات ناقلة للمياه، كان من أشهرها قناة السبيل "الدنيا" التي شيدها الحاكم الروماني بيلاطس عام 35م، والقناة العليا التي شيدها الإمبراطور البيزنطي سفيروس

(193 - 211م)، والتي تنقل المياه من وادي البيار جنوب أرطاس إلى برك سليمان ثم إلى القدس. أما هيرودس فقد بنى في وادي أرطاس حدائق وحمامات وقصوراً وقنوات، وما زالت بقايا القناة التي تنقل المياه من عين أرطاس إلى قلعة هيروديون تظهر في عدة أماكن، ويبلغ طولها أكثر من 8 كم.[2]

الفترات الإسلامية والفترة العثمانية

عرضت بعض المصادر أن القرية عرفت الإسلام بدخول الجيوش الإسلامية فلسطين عام 637م، تحت إمرة عمرو بن العاص، وتشير إلى أنه بنى أول مسجد في القرية، وهو المسجد الذي عرف باسم مسجد عمر، تيمناً باسم الخليفة عمر بن الخطاب الذي تسلم مفاتيح القدس في العام التالي. بينما عرضت مصادر أخرى أن أول مسجد في أرطاس تزامن بناؤه مع دخول الخليفة المسلم عمر بن الخطاب سنة 636م إلى القدس، وسمي حينذاك بجامع عمر تيمناً باسمه.

وقد عُرفت البرك في الفترات الإسلامية المتعاقبة باسم برك المرجيع. وفي تفسير ذلك، ذكر مجير الدين الحنبلي صاحب (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) أنه عندما فقد إخوة النبي يوسف أخاهم، وجدوه عند البرك وأرجعوه، فسميت ببرك المرجيع. وحرص المسلمون على تعمير البرك وقنوات المياه، خاصة قناة السبيل التي كانت تغذي منطقة الحرم الشريف. وفي أواخر عهد المماليك عام 1460م تم إنشاء البركة الثالثة "التحتا" على يد الملك الظاهر خوشقدم. وقد وصلت القرية أوج قوتها في عهد سلاطين المماليك (1187 . 1517م)، حيث أصبحت تشكل مركزاً تجارياً وقضائياً، وانتشرت فيها طواحين الغلال التي كانت تعمل بقوة مياه أرطاس. حيث تدل إحدى اللوحات الحجرية الموجودة الآن على الواجهة الشرقية للطابق الأرضي للجامع على وجود طاحونة يعود تاريخ إنشائها إلى الخامس عشر من ذي القعدة سنة 705 هـ. ويوجد من هذه الفترة كذلك بقايا لقاعة محكمة وسجن معروف الآن باسم الحبس وسط القرية شرقي الجامع. وشهدت القرية أعمال ترميم وبناء القنوات المائية التي تزود القدس بالمياه على يد بعض السلاطين مثل الظاهر بلباي والظاهر تمربغا.

اضطلع زعماء أرطاس خلال هذه الفترة بدور من يقيمون العدل في القرى التابعة لهم، حيث كانوا يتمتعون بنفوذ كبير، وفرضوا سيطرتهم على الطريق التجارية بين القدس والخليل والتي كانت تضم 24 قرية تسمى حتى اليوم بقرى العرقوب، حيث كانت أرطاس تسمى حتى عام 1750م "برأس العرقوب". وتشير التقاليد المتبعة في أرطاس أن فلاحي أرطاس اعتادوا على حماية مصادر المياه والقنوات مقابل إعفائهم من الضرائب، وأن هذه الحماية استمرت خلال عهد سلاطين المماليك. ويذكر أن هذه الفترة كذلك تزامنت مع تعرض القرية لمذبحة من قبل أهالي القرى الأخرى.[3]

استطاع العثمانيون السيطرة على فلسطين، واهتموا كمن سبقهم بأرطاس، وبذلوا جهوداً كبيرة لأجل تعميرها وحمايتها من الخراب أو من اعتداءات البدو وقطاع الطرق، خاصة السلطان سليمان القانوني الذي حملت اسمه فيما بعد، فرمم بركها الثلاث وعمر قنوات المياه وحافظ عليها. وكذلك السلطان عثمان الثاني بن أحمد الأول الذي تم على يده بناء قلعة البرك، والتي كان يقوم على حراستها دزداراً وأربعين جندياً مزودين بالعتاد الكافي لحماية البرك وقنوات المياه. وعندما اختل

الأمن في فترة لاحقة نتيجة للظلم والفقر، انتشر الأشقياء وقطاع الطرق الذين خربوا الينابيع ومجاري المياه، فذاق أهل القدس الأمرين، مما جعل السلطان العثماني مراد الرابع يقوم ببناء قلعة عرفت باسمه لحماية البرك والقنوات، وأنشأ داخلها مسجداً وخمسين غرفة ليسكنها الجنود الذين سيروا الدوريات لمنع قطاع الطريق من الاعتداء على القنوات التي يسيل فيها الماء نحو المدينة المقدسة.[4]

وفي أثناء الحكم العثماني المتأخر، عام 1901م، استبدلت قناة المياه الفخارية التي مدها العثمانيون من برك سليمان إلى القدس، بقناة معدنية، بإشراف مهندس يوناني يدعى أفرنقاه، والتي ظلت تزود القدس بالمياه حتى عام 1948، ووقوع النكبة الفلسطينية.

فترة الحملات الصليبية وعودة السيطرة الإسلامية

من الثابت أن الفرنجة استولوا على أرطاس. فقد عُثر في وسط القرية على معالم لكنيسة صليبية تقع في الجهة المقابلة للمسجد. ويمكن هنا الإشارة إلى ما ورد في تقرير كتبه السيد بوذري، مدير مصلحة المياه في حكومة الانتداب عام 1938م: "إن مشروع الماء في عهد المسلمين كان متقناً إلى درجة أن الصليبيين عندما حاصروا القدس، قاسوا أشد العذاب من جراء العطش وقلة الماء، بينما كان سكان القدس أنفسهم في مأمن من هذه الناحية، وكانت لديهم في المدينة مقادير وافرة من المياه. وقد أعار المسلمون المسألة جل اهتمامهم، فعمروا القنوات وأولوها أهمية خاصة". وحيث كان لمياه أرطاس وبرك سليمان أهمية كبيرة في تزويد مدينة القدس بالمياه، لذا كان لأهل أرطاس دوراً كبيراً في حماية المياه والقنوات التي توصلها إلى القدس. وتمكن الصليبيون من احتلال القرية بعد أن استداروا واستولوا على قنوات المياه، وبقوا فيها سنوات طويلة انتهت بنهاية العهد الصليبي في عام 1187م، عندما هزم القائد صلاح الدين الأيوبي آخر ملوك الصليبيين. بعدها استطاع العرب المسلمون السيطرة ثانية على أرطاس من أجل حماية المصادر المائية التي كانت تزود القدس وقتها بالمياه.

الانتداب البريطاني

عندما احتل البريطانيون فلسطين، رابطت القوات البريطانية في قلعة مراد، وشرعت في بناء محطة فوق مجرى عين أرطاس، وانتهى العمل فيها عام 1922م، لتبدأ ضخ المياه إلى القدس، مما عصف بأرزاق السكان وزراعتهم وحياتهم.

النكسة

قامت قوات الاحتلال الإسرائيلية بإقامة سلسلة مستوطنات غوش عتسيون (كفار عتسيون)، (سبع مستوطنات أقيمت في الثلاثينات وأخذت بالتوسع)، حيث أقيمت مستوطنات على الأراضي التي احتلت عام 1967 في أرطاس والخضر ونحالين والجبعة، حيث بلغت مساحة الأراضي المصادرة من منطقة بيت لحم 120 ألف دونم حتى عام 1995م.

بموجب أوامر عسكرية وبفرض الربط بين المستوطنات الصهيونية في منطقة بيت لحم حول القدس، جرى توسيع مستوطنة تقوع شرق بيت لحم، وتوسيع حدود مستوطنة معاليه عاموس في أعقاب مصادرة 200 دونم من أراضي كيسان، ومصادرة 1432 دونماً من أراضي أرطاس سنة 1991م، و2000 دونم من أراضي بيت فجار، وهدم منازل المواطنين الفلسطينيين في المنطقة الفاصلة بين حدودها الشمالية ومستوطنة بيت جالا، وهي المنطقة المعروفة باسم بئر عونة، مما يحقق اتصالاً مع المستوطنة الواقعة في حدود القدس الإدارية.

الفصل الثاني: لمحة تاريخية

برك سليمان، وهي من أشهر المعالم التاريخية والأثرية في القرية، وهي رومانية، رممها السلطان العثماني سليمان القانوني عام 1552م.

طبيعة أراضي أرطاس وتنوعها من صخور وتربة ونباتات وأحراش ومراعي ومناخ ومياه، ساعد على جذب الناس للسكن منذ أقدم العصور. وقد استقبلت المنطقة أجدادنا الكنعانيين منذ خمسة آلاف عام، ويدل على ذلك علم الحفريات وآثار ما خلفه السابقون. فالمدن الكنعانية شاهدة على نشاطهم في البناء والزراعة والفنون، وحفر الصخور والخزانات، وصناعة الفخار والنحاس ثم الحديد، وصناعة الألبسة الكتانية والصوفية والموسيقى، وكانت حضارتهم متقدمة على كل الشعوب.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسو الحضارات ودعاة التقدم والإنسانية، وأخيراً الحرية والديمقراطية. فهل كان لليهود حضارة؟ دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول غوستاف لوبون: "ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها، وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة. وقد وجدوا بيوتاً مملوءةً بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها، وأباراً محفورةً، وأشجاراً مغروسةً لم يغرسوها. وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة، واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف، منها على سبيل المثال صناعة الفخار والخبز بالتنور وصنع الخمور وتربية النحل وصنع الثياب، إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص."

ويُتابع غوستاف لوبون: "ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً من الكنعانيين، والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية". ويتابع غوستاف لوبون ويقول: "لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري، واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية، ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ. ولما صارت لليهود مدناً في نهاية الأمر، بعد أن كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم، فقد اضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج، فجلبوا البنائين والفنيين والعمال، ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد."

ويقول سيغموند فرويد، عالم النفس اليهودي: "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي، إذ تغيرت أثناءها أحوالهم، ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم، وتنوعت آدابهم، وتأثروا وتخلقوا بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين، فتولد عندهم عقدة النقص. وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة، نسبوا لأنفسهم كل عظيم."

يقول المؤرخ فيليب حتي: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأول من الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم. وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان من بعده، لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني". ويتابع حتي: "أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس، إله الخصب. وكان الرجل يقطع حلمة بشرته ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً، فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم."

ويقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة، حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية، إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين، إذ لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم. وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين، تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكن الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها، ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي. وبعد زمن معين، لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم"، كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا، إذ ينخرطون في مجتمعهم فيكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم.

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم، وما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ، إذ تعرضوا للقهر والإهانة، وبشكل خاص في القرون الوسطى، وهم يعترفون بذلك. وقد عبروا بكتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه، إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية، بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء، حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة. أما الآن، فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية، إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والأمريكي، وباتت الصهيونية أداة هدم وتخريب ودمار لنهضة العرب بعد تخلصها من الحكم العثماني. ونحن نرى كيف جعل الاستعمار البريطاني أولاً والأمريكي ثانياً من الغراب نسراً يهدد الأمة العربية بقوته العسكرية، ونهب خيرات العرب، وكأن العرب هم أصحاب الهولوكوست. إن الحضارة التي تتغنى بها إسرائيل هذه الأيام، ماهي سوى حضارة غربية جلبها المهاجرون إلى فلسطين بمساعدة الاستعمار، من رغيف الخبز حتى النووي. يقول أبو تمام الشاعر المعروف: "اغترب تتجدد."

والعرب لم يكونوا نكرات حتى زمن الحكم العثماني، إذ بقيت الحضارات العربية والإسلامية ماثلة. إذ قام السلطان العثماني سليم الأول بسحب كبار الفنيين والحرفيين من مصر وبلاد الشام إلى إسطنبول للاستفادة منهم في تطوير المهن عندهم، على حساب حرمان العرب من هذه المظاهر الحضارية. وبقي للعرب في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر وعبر...

بلدة أرطاس مدينة كنعانية قديمة، تعد الثانية بعد أريحا. وتدل الحفريات والآثار أن المنطقة كانت تعج بالكنعانيين الذين استوطنوا فيها منذ عهد التاريخ، فزرعوا الأرض وحفروا معاصر العنب والزيتون والفواكه بأنواعها، كلها تشهد على

حياتهم وحضارتهم، وذلك لكثرة الخرب الأثرية. إن اسمها الكنعاني تركوا آثارهم باستغلال الأرض والاستفادة من منتجاتها، وبشكل خاص صناعة الخمور من العنب. وتدل أشجار الزيتون الرومانية على نشاطاتهم الزراعية. ثم خضعت بعدها لحكم العرب الإسلامي، وباتت فلسطين عربية خالصة ضمن جند فلسطين. وفي الحروب الصليبية، خضعت منطقة أرطاس تحت حكم الصليبيين، وانتعشت المنطقة تجارياً واقتصادياً لقربها من القدس. وفي العهد العثماني، ظلت القرية كغيرها من أرض العرب أربعة قرون تعيش في ظلام دامس من فقر وجهل وركود معاشي وتخلف حياتي، بينما كانت أوروبا تنعم في عصر النهضة في التقدم والعلم والاقتصاد. تخلصت البلاد من الحكم العثماني البغيض، ووقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني القاتل، والذي جاء ليحقق وعد بلفور بإقامة كيان غريب بالاتفاق مع الصهيونية الاستيطانية.[1]

فلسطين تحت الانتداب

لقد تأثر الهيكل الاجتماعي العربي الفلسطيني بشكل واضح تحت الانتداب البريطاني.

إن صك الانتداب البريطاني ينص على مساعدة اليهود بإيجاد وطن قومي لهم في فلسطين، وهو وعد بلفور الذي صدر عنه في 1917/10/2م. وقامت بريطانيا بتعيين أول مندوب لها في القدس، وهو هيربرت صموئيل اليهودي، ومعه مخطط تنفيذ الوعد أكثر نفعاً من وعد اليهود لإبراهيم عليه السلام. واستغلوه استغلالاً منظماً، ووظفوا كل أساليب الدعاية والإقناع والإرهاب والتزوير للتحقيق منذ بداية الانتداب البريطاني. وأعتبر العرب أن تدهور الأحوال الاقتصادية هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية. فهذا حاكم حيفا البريطاني يبعث برسالة إلى وزير المستعمرات البريطاني يشرح له فيها الوضع الاقتصادي المخيف لشعب فلسطين، الرامية لتشجيع الهجرة. وقد كتب جورج ستيوارت (George Stewart) حاكم لواء حيفا في أوائل نيسان 1922م إلى تشرشل وزير المستعمرات تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها، وماله من أثر قوي على موجة الاستياء التي تعم مختلف سكان العرب في فلسطين، إلى حدّ تجاوب معه القرويون مع حملات التحريض المضادة للحكومة. ويتابع هذا الحاكم في رسالته ويقول:"فالأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة، وفي حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعود بالربح على العرب متدهورة. كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سورية أخذت تقتل الترانزيت. فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يكاد يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة. وقد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية وأصحاب العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال. إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة، والدخل شبه معدوم.

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية)، فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى. وإن بعضهم يواجه الإفلاس. وليست حالة صاحب الأرض الكبيرة خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض. فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، وأنه ليجد من الصعوبة أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من أراضٍ بسعر معقول.

يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية، وما يترتب عنها من الهجرة اليهودية."

أما بيوت العرب في فلسطين، فقد شردتهم واستولت على أملاكهم من عقارات وأثاث وأراضي بمراسيم سلطة غاشمة، استغلت مناصرة الاستعمار وأمريكا في الأوساط الدولية لليهودية. وأصحاب العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم. لقد كانت بريطانيا متحمسة شديد الحماسة في تشييد المرافئ والمصانع والطرق، وتوفير المواصلات والمؤسسات للدولة الصهيونية المنتظرة، وأقامت ما يلي: إلى جانب الميناء البحري في حيفا، أقامت بريطانيا ما يلي وأعطتها للصهاينة لقمة سائغة على طبق من ذهب، وهي على سبيل الإيجاز:

- أقامت المعسكرات لجيوشها التي استوعبت أكثر من 80 ألف جندي للدفاع عن المنطقة ضد الألمان، ثم تبعتها التصدي لثورة عرب فلسطين. وتفرعاتها إذ كانت شبكة حديد فلسطين أغنى شبكة في منطقة الشرق الأوسط.
- أقامت مطاراً مدنياً في مدينة اللد وكان أعظمها في المنطقة، وإلى جانب هذا أقامت مطاراً مدنياً آخر في قلندية قرب القدس، إلى جانب ما أحدثته السلطات البريطانية من مطارات جوية في سهل عكا والعفولة وغيرها من مناطق فلسطينية.

- وقد أقامت بريطانيا أول مصفاة بترول في حيفا، وكانت أكبر مصفاة في المنطقة، وقد مدت لها أنابيب البترول من العراق وسورية. كما ساعدت الدولة المنتدبة الظالمة الصهاينة هجرة الغرباء الصهاينة إلى أرض فلسطين، ومنحتهم الحرية باستخدام السلاح، وغضت الطرف عن تهريب المعدات العسكرية بأنواعها. كما شجعت الصهاينة ومنحتهم أراضي الأميرية، وهي أراضي السلطة العثمانية، قُدرت بـ650 ألف دونم.
إن صك الوعد الذي لا يملكه ينص على إقامة وطن لليهود في فلسطين على أن يضمن حقوق السكان العرب. إن مفهوم الانتداب جاء على حكم البلد ومساعدة أهله إلى قدرتهم في حكم أنفسهم لوحدهم، بينما عملت سلطة الانتداب ومنحتها للصهاينة في إقامة دولتهم بدون مشقة وتعب، إذ تم إعلان قيام دولة إسرائيل في 28 نيسان 1948م، أي قبل خروج دولة الانتداب بشهر، بينما وقفت سلطة الانتداب مواقف معوقة تجاه شعب فلسطين.
- اتبعت بريطانيا سياسة السلطة العثمانية في إثارة النعرات العائلية، إذ شجعت الطائفية والتمييز بين الطوائف وبين الفلاحين بطرق شتى، وغلق المصارف العربية التي كانت تعين المزارعين وتمولهم بالأدوات الزراعية ومواد مخصبة للأرض.
- رفضت الاحتجاجات العربية الفلسطينية بوقف الهجرة ووقفها، وعدم الاعتراف بوعد بلفور. وقابلت السلطات البريطانية هذه الطلبات بالقمع والسجن والمعاقبات الجماعية لكل من يتحدى ذلك.
- محاربة ثورات عرب فلسطين المتكررة في ثورة البراق (1929م) وثورة فلسطين الكبرى التي رافقها إضراب الستة أشهر عام 1936م، وما تبعتها من ثورات أهمها معركة يعبد في لواء جنين، ومعركة أم الدرج في سفوح جبل

الكرمل الجنوبية، إذ استخدمت سلطة الانتداب الطيران والمدفعية ضد الثوار العرب. ووصل الظلم وتعسف بريطانيا بأهالي فلسطين بالعقاب الجماعي، إذ كانت القرى تتعرض بمنع التجول، فتجمع سكان القرية ويخرجوهم من بيوتهم في مجموعتين: مجموعة للرجال وأخرى للنساء والأولاد، تحت السماء والطارق بدون طعام أو شراب منذ الصباح حتى غياب الشمس، بينما يؤخذ الرجال إلى جهة أخرى ويبدأ استجوابهم وتقوم الفلقات على البعض، ويخرج المضروبون لا يستطيع أحدهم الوقوف على رجليه من شدة الألم في قدميه. دخلت بريطانيا فلسطين في عام 1918م وتركتها في 1948/5/15م، وسقطت حيفا ويافا وطبريا ثم سمخ وبيسان أمام أعين جيشها الحقود وممارساته الإجرامية ضد عرب فلسطين.

المراجع:

(1)تاريخ سورية القديم ج 1 – فيليب حتي.

(2) تاريخ الحضارات – جورج حدا.

(3) تاريخ الدولة العثمانية في القرنين الثامن والتاسع عشر – عبد الكريم رافق.

(4) مقالة جورج ستيوارت لوزير المستعمرات ونستون تشرشل

(5) الموسوعة الحرة ويكيبيديا

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية

(زراعة، صناعة، تجارة، سياحة)

الزراعة

أراضي أرطاس من المناطق الخصبة لجودة التربة ووفرة مياه الأمطار الكثيرة وتجمع الينابيع وتوفر المناخ المساعد ووجود الندى الذي يساعد المزروعات البعلية. وقد استفاد أجدادنا من هذه العوامل كلها، فزرعوا الأرض بأدواتهم البسيطة من محراث خشبي له سكة معدنية من البرونز ثم الحديد، كما استخدموا المنجل لحصاد القمح والشعير. وقد استغلوا الخيول والأبقار والحمير في الحراثة ونقل المواد والغلات ثم المواصلات، وكانت القوة العضلية هي السائدة، والويل لمن يفقدها. لذلك كانت الأسرة كلها متعاونة في تحقيق مثل هذه النشاطات، فالذكور منهم يتولون المهام الصعبة من حراثة الأرض وإعدادها للزراعة، فيزرعون الحب والأشتال ويعتنون بها من تعشيب وري وتسميد وجمع وخزن، إلى جانب العناية بالأغنام والماشية من رعي وحليب وصناعة ألبان وقص الصوف وبيعه، إلى جانب التسوق وجلب الطعام لحيواناتهم، وتأمين المسكن بكل وظائفه: إيواء أسرته وحيواناته وكل ما يلزم من خدمات.

خشبي قديم

هذا ما كانت عليه الزراعة قديماً. ومع أن الدولة العثمانية كانت تعتمد على الفلاحة لجمع الأموال للبيت العالي في إسطنبول، فقد كانت حياة الفلاح مشوشة وغير مستقرة، إذ كان اللصوص وقطاع الطرق يغزون القرى وينهبون ما جناه الفلاح في سنته، ويبقى هذا المسكين يتلوى من الجوع. ومع أن السلطة العثمانية اعتمدت على رؤساء العشائر في نشر الأمن والطمأنينة، وذلك حسب قوة شيخ القبيلة أو العشيرة وكبر عدد أفرادها وسمعته، ومنحه السلطة في تحقيق ذلك، كانت هذه السياسة تتذبذب وغير مستقرة. فترى زعيم العشيرة يتمرد على الدولة ليستقل بما لديه من النعم، ويعود الفساد وتعم الفوضى. وهذا كله يشكل خطراً على حياة الفلاح، وأن 75% من سكان فلسطين كانوا فلاحين آنذاك، وهذا ما أدى إلى انهيار الدولة العثمانية.

ولما جاء الانتداب البريطاني عام 1918، تنفس أهل البلاد الصعداء، ونشط الفلاح وازدهرت الزراعة وتنوع إنتاجها، وزادت الغلات من حبوب وبقول، وبشكل خاص ثمار الحمضيات إلى جانب الفواكه المتنوعة. ولم يمضِ سوى خمس سنوات حتى وجد الفلاح نفسه يمر في ضائقة مالية قاتلة، إذ عرضت بريطانيا الطحين في الأسواق بأسعار تضرب بها ما يكتنزه الفلاح، كما منعت تصديره، ولم يعد لصاحب الأرض دخل يعتاش منه. وقبع أهل فلسطين تحت الفقر. وهنا أضع لكم ما قدمه حاكم حيفا، هذا وما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته: تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها، مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين، تجاوب معه القرويون مع حملات التحريض المضادة للحكومة. يتابع هذا الحاكم في رسالته قائلاً: "فالأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة، في حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة. كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سورية أخذت تقتل الترانزيت. فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة. وقد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية، فأصحاب العمل اليهود لا يتعاملون إلا للمهاجرين الجدد من اليهود من العمال. إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة، والدخل شبه معدوم(1) ".

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية)، فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى. إن بعضهم يواجه الإفلاس. وليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالديون، ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض، فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، وأنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول. يرى ساكن المدينة ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو مباشرة للسياسة البريطانية الداعمة لليهود وما يترتب عليها من ظلم لعرب فلسطين.

أما في العقدين الأخيرين من حكم الانتداب لفلسطين، فقد تغيرت الأحوال لصالح الصهاينة لأسباب أوجزها:[2]

1. محاربة الفلاح في أرضه، إذ سنت قوانين لتحويلها إلى اليهود، منها: أن كل أرض لم تزرع خلال سنتين تصادر وتحول إلى اليهود، أو أن أصحاب الأرض لم يفلحوا أرضهم خلال سنتين تصادر لصالح المستوطنين اليهود، وكذلك الأراضي التي لم تدفع الضرائب والرسوم.
2. إغراق الأسواق بالحبوب المستوردة بأسعار دون الأسعار السابقة، وعدم حماية المنتج الفلسطيني، مما أفقر الفلاح وأضعفه وهو صاحب الأرض ومالكها.
3. جلب العمال الفلسطينيين العرب من مزارعهم ليعملوا في بناء الطرق والموانئ والمعسكرات للجيش البريطاني، الذي قُدِّر عدده بـ 80 ألف جندي في كل البلاد وعرضها. وقد باتت فلسطين في ذلك الوقت مثلها كمثل دول الخليج هذه الأيام، بحاجة إلى الأيدي العاملة والوظائف المتنوعة.

4. إقامة المؤسسات والدوائر الحكومية من مراكز للبوليس ودور الحكم، وسمحت للصهيونية إقامة دوائرهم الخاصة وجمعياتهم ومؤسساتهم، حتى باتوا يعيشون في دولة في دولة ضمن دولة.
5. كل هذا كان سلباً للأراضي من أصحابها، وإحلال المهاجرين الصهاينة فيها، دون منح الفلسطينيين أي حق من الحقوق، بل كان هدفهم إفقار الشعب وتدميره. ونحن نرى الآن، وقد مر علينا هذه الأيام مئة عام منذ وعد بلفور في 1917/10/2 حتى اليوم 2017/10/2، ونحن نعاني نظاماً تسلطياً إسرائيلياً من احتلالات للأرض، وقتلهم لكل معارض، ونهب أموال أهل البلاد، وامتلاء السجون، وتهجير الناس بالجملة، واستقبال الأغراب وتوزيع الغنائم بدون حق أو وخز ضمير، أمام مسمع وحضور الأمم المتحدة التي وظفها لهم الدول الاستعمارية والدولة الإمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية. وما خططت له الانتداب لتنفيذ الوعد البريطاني، وما مارسه من قتل المعارضين، وجاءت الإمبريالية الأمريكية بخططها الشيطانية في إكمال المشوار في تدمير العرب ودينهم الإسلامي في محاربتهم بعضهم لبعض، وتوظيف أسلحتهم ضد شعوبهم، وهدم بيوتهم بأيديهم، ليس حباً باليهود، بل كرهاً وحسداً للعرب والإسلام.

لقد قام المجلس المحلي للقرية بتجديد نشاطات كثيرة من ترميم وبناء، ووضع خطط إسكانية وصناعية جديدة، بالإضافة إلى تسارع ترميم المدارس والمؤسسات. وتم تعويض ما سلبه المحتل من أراضي أصحابها بعد عام 1976م، وذلك باستخدام المخابر والأسمدة في مضاعفة الإنتاج، واتباع البناء الشاقولي لتوفير الأرض الزراعية.

رغم تحويل أراضي إلى المستعمرات المجاورة، وفتح مشاريع للطرق والجسور رغبة في تسهيل المواصلات للمستعمرات ونهب الأراضي العربية المتبقية، فإن أهالي البلدة كسبوا أراضي جديدة في المرتفعات عن طريق بناء المصاطب وزرعها بالأشجار المثمرة: تفاح وأجاص وعنب وزيتون، كما أقاموا فيها بيوتاً بلاستيكية لزراعة الأزهار والخضروات، ومزارع الدواجن، وتربية النحل، وغيرها من المنتوجات المرغوب فيها. وتملك البلدة العديد من المواشي من أغنام وأبقار، تكاد تكون كافية للاستهلاك المحلي، وبعض الألبان يصدر للأسواق.

لقد تطورت الزراعة عن ذي قبل، فأصبح الدونم يعطي إنتاجاً ضعف ما كان في الماضي، بعد أن باتت الزراعة تعتمد على الخبرة والمخابر والأسمدة والري بالتنقيط. وأصبحت المواد الزراعية تدخل في عصر المكننة، وكذلك للدواجن والألبان. حتى الخضار باتت تعبئتها وحفظها صناعة نموذجية. وكل هذا النشاط متوفر في بلدة أرطاس.

الصناعة في البلدة

فقد تحولت من صناعات بسيطة[4] مثل الحدادة في صناعة المحاريث والسكاكين والخناجر والسيوف، إلى آلات تعمل بالوقود والكهرباء والطاقة الشمسية، إلى مطاحن لطحن الحبوب، وآلات للخياطة، وأخرى لحياكة الصوف والكتان والخام والحرير، وصناعة الألبسة بأنواعها، وتصليح المعدات بأنواعها من سيارات وغسالات وأفران ومعدات كهربائية والكترونيات وأجهزة اتصالات وأدوات طبخ وفخاريات وزجاجيات وغيرها كثير. وقد استفاد أهل البلدة شعب من الأحراش

المحيطة ببلدة شعب ببناء البيوت، فكثرت المناجر وصنع الموبيليا وغيرها من الأدوات، ومقالع الحجر، وصناعة الكلس والفحم.

إن منطقة بيت لحم من المناطق الجاذبة للسكن، عاش فيها أجدادنا الكنعانيون منذ خمسة آلاف عام. وتدل الآثار التي تركوها على المستوى الحضاري الرفيع الذي عاشوه. وتلك الشواهد أو الآثار كشفت لنا الحقائق التي زورها أعداء العرب والمسلمين، منها تخريب الغابات التي كانت تكسي مناطق البلاد الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط، والتي تدعى بنباتات وغابات (الماكي) الطبيعية، والتي سكنتها آلاف الحيوانات الطبيعية المتوحشة والمدجنة، والتي استغلها البشر عبر آلاف السنين بالتقطيع وبناء البيوت والمساكن، ثم سكك الحديد وصناعة الأخشاب، فتعرت المرتفعات بفعل التعرية، وزاد التصحر، وأصبحت أراضيها واسعةً جرداءً بعد أن فقدت حلتها الخضراء اليانعة. مما جعل المسؤولين بتنفيذ مشاريع التغريس السنوي، حيث تزرع ملايين الغرسات سنوياً، مما أتاح الخضرة وجمال الأراضي كما لاحظته في فلسطين وسورية ولبنان والأردن، راجياً من الله أن تستمر هذه المشاريع وتتوسع، وتأكيداً لأهميتها وفوائدها.

النباتات الطبيعية والحيو انية في بلدة أرطاس:

تعتبر أراضي البلدة نموذجاً أصيلاً للنباتات والحيوانات الطبيعية والمدجنة فيها خصائصها، ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن، فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات. وقلما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة. ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها:

- **البلوط:** ويشكل تجمعات شجيرية واضحة، كما أن السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة، تتبعها أشجار الخرنوب والسعتر والنتش والزوفا والميرمية والشومر، كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.
- **الدفلة:** وهي شجرة دائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة، إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان، وتؤدي بذورها إلى اللغثيان وانخفاض النبض، وتدخل مستحضراتها كمقوية للقلب.
- **العرعر:** فصيلة سروية، يستخدم في الطب، وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج، فتجفف في الظل وتهوى، وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول، وتفيد كمقشعة للبول وللالتهابات التنفسية وفاتحة للشهية.
- **الطيون:** نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محببة، تستخدم في إزالة شوك ثمار الصبار عند قطفها، ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم وخواص مضادة للديدان الحلقية، كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون المغلي.
- **الزنزلخت:** وهو شجر بري ويزرع في البيوت والشوارع أحياناً، ويكثر في المزارع، ويستعمل قشره كطارد للديدان، والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة، ومنقوع ثماره المغلية تستعمل لأمراض الجذام، ويعتبر الزيت الناجم عن البذور مقوياً للشعر كما يستخدم في أمراض الجلد.

- **الكينا:** شجر معمر، أوراقه مغزليه، وجذوره قوية تمتد إلى مسافات طويلة تؤثر في أساسات الأبنية، تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة، أوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم، يدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.
- **البابونج:** نبات عشبي حولي، تجمع النوارات في فترة الإزهار الكامل ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة، وتستعمل ضد الالتهابات، وهي مطهرة، تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو.
- **المليسة:** نبات عشبي أيضاً وهو معمر، يكثر في الأماكن الرطبة وعلى حواف الأودية، يستعمل بشكل واسع في صناعة العطور التجميلية، كما يستفاد منها في المرطبات، وتستعمل طبياً في حالات الضعف العام وحالات خفقان القلب، كما أنها مضاد للتشنج والمغص المعوي، وكذلك للصداع والروماتزم.
- **الشومر:** وهو من الفصيلة النجمية (اليانسون)، يستعمل منشط للأمعاء، وهو طارد للريح ومحسن لطعم كثير من الأدوية، تستعمل الثمار والزيت المستخرج منه في الصناعات مغذية، ويعتبر أساساً صناعياً للمنتوجات العطرية والتجميل.
- **الحنظل:** من الفصيلة الفرعية، نبات عشبي معمر، تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية، ومسحوق البذور وخلاصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.
- **السعتر:** نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة، ويحوي على زيت طيار، تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت. كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل في العصابات والروماتزم، وإن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة في التهاب اللثة ومخاطية الأنف والتهاب الرئة وقرحة المعدة والاثني عشرية، وكطارد للديدان الخيطية، ومضاد للسعال. عندما يكثر هذا النبات في المنطقة ويرافق السعتر له رائحة عطرة، وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات، وبشكل خاص الحلق واللوزات والأغشية المخاطية، تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء، ويستعمل المنقوع أيضاً لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.
- **الهندباء والخبيزة:** وهي من النباتات الحولية، تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة، وهي غذاء أساسي للناس في موسمها، كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم، وكذلك بالنسبة للسعتر.
- **الخلة:** وهو نبات عشبي حولي، وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل، يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد، إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة، كما يستخدم عيدانه بتنظيف الأسنان.

- **شجر الخرنوب:** يكثر شجر الخرنوب في منطقة الهضاب الوسطى بفلسطين، وبشكل خاص على سفوح المرتفعات. وقد اعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخروب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف، ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست)، ويغمر الخليط بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلواً. ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء، ويجفف الخليط ويستخدم وقوداً للطوابين، ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بخلطه مع مواد أخرى. أما الماء في الدست فيغلى حتى يصير لزجاً وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الحمرة ثم إلى اللون الأسود، ويدعى دبس الخروب أو (الرب). ويعتاد أهل القرى في فلسطين كلها

تموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام، وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف إليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس. والملفت للنظر أن أوراق شجر الخرنوب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي، فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ ولا تزال بالصابون العادي إلا بورق الخرنوب.

- **شجر الزيتون:** ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الناصرة والجليل، ومناطق واسعة من ألوية فلسطين الوسطى: نابلس ورام الله والقدس. تجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني، وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة. ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر. وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وعلى حجر كبير دائري الدولاب يديره حيوان، ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نبات القصب على شكل دواليب، وتوضع القفف بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين، فيضغط اللولب على القفف فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل (بئر) وتسمى (البدود). ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أوالكاز) ثم تجمع في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار. وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان.
- **الصبار:** يشكل الصبار حزاماً يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي)، ويعطي هذا النبات ثمراً لذيذ الطعم حلو المذاق يلتقط بواسطة الأيدي. واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة، ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب. وتعتبر أحزمة الصبار لحدود الكروم سياجاً تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي، كما تعتبر عصارة ألواح الصبار مادة قلوية لالتئام الجروح.
- **الحمضيات:** هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون، البرتقال، اليوسفي، الماندلينا، والكريب فوت). وتجود زراعة أشجار الحمضيات في سفوح الهضاب والسهول ومنخفضاتها. وتتزين أراضي أرطاس، وبشكل خاص في فصل الربيع، ببساط أخضر بنباتات متعددة ومتنوعة مثل النرجس وشقائق النعمان، بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو بروائح زكية عطرة تنعش القلوب وتثلج الصدور، بينما تنقل الرياح هذه الروائح إلى مسافات بعيدة. وعلى حواف الوديان تنمو أشجار الدفلى وهي تلبس أزهاراً ملوحة بالصفار، رائحتها فواحة عطرة، وردية ملوحة بالأبيض، تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أماكن بعيدة ليتغذى برحيقها الفواح.

الطيور والحيو انات البرية :إن طبيعة أراضي أرطاس من أراضي ومناخ والتضاريس، هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية. وقد استطاع العلماء تصنيف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، وقد انقرض أكثرها الآن. ومع ذلك، فإن البعض منها لا يزال موجوداً بنسب متفاوتة، منها على سبيل المثال:[3]

- **طيور الحجل والشنار :**ويعيش في المرتفعات بين الأحراش وبين أشجار السريس والسنديان، وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين. وكان بعض الصيادين يأخذ فراخها ويدجنها في البيوت ضمن أقفاص، ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.

- **الرقطي والقطا** :يشبه الرقطي الحمام تماماً، ويقال عنها ستيتية، لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقاً، لها صوت عذب عندما تصدح باكراً، تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون. وكان الصبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو لتربيتها في الأقفاص. أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة، لحمه قاس، ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان إلى آخر بغية قنصه.
- **الزرزور** :من الطيور الموسمية المهاجرة، تأتي في أوائل الربيع بأعدادٍ هائلة. وهناك من الطيور الشائعة مثل (البلابل) والدوري والكركس والشحيبر والحنيني والآمي والسنونو..الخ. من الطيور الجارحة (الصقور والبوم والغراب).

الحيو انات البرية والزواحف في أرطاس:

توجد هذه الحيوانات مثل (الضباع والثعالب والواوي والذئب) غيرها بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر الزمن، حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها. ومن الحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنافذ والخلد والسحالي والسلاحف والحرادين). ومن الحيوانات البرية والتي يؤكل لحمها: الغزلان والأرانب، وهي تعيش في بيئة صالحة في منطقة البراري. ومنها الحيوانات المدجنة، وكانت الكلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم منذ القدم، كما كان عدد قليل من الصيادين قد دجنوها، وأصبحت الكلاب عوناً للرعيان وسلاحهم ضد الوحوش.

- **الماعز** :إن بيئة المراعي في جو مناسب، وطعام وافر متوفر بشكل كبير في أراضي أرطاس، لكثرة المراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال. والماعز بحاجة ماسة إلى تسلق الشجيرات لأكل ما يطيب له، لذلك نرى أعداداً منها تسرح وتمرح في أراضي البلدة.
- **الأغنام** :وتأتي الأغنام بعددها، وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها، ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن، وتدر على أصحابها المال.
- **والحيو انات المدجنة** :الحمير والخيول والبغال. لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام، واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود، وبقي منها عدد قليل يوظف في الركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل إليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة، ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.
- **الأبقار** :وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية، ويوجد حظائر عصرية تجمع بين الأبقار الأهلية والأجنبية، وتبقى ترعى في مزارعها الخاصة، ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتجود بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل. وكلما تطورت العناية في التربية، كلما زاد الإنتاج جودة وقيمة، وهذا متوفر لدى بعض السكان في البلدة.
- **النحل** :ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية، من جود مناخ وكثرة أشجار، كلها ساعدت على وجود الإنسان في بقاع فلسطين منذ قديم. وعنه طبيب فرعون المصري سنوحي عندما هرب من الفرعون الجديد إلى لزمان، وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين، إذ كتب عن فلسطين وسكنها، وتزوج كنعانية، ووصف كرم أهلها وخيرات أرضها، وقال عنها أنها أرض الخمر والعسل. وقد اهتمت بعض الأسر من أهل البلد بتربية

النحل بالطرق القديمة، وقد تطورت الآن إلى أساليب حديثة تدر أموالاً على أصحابها. إن العسل المنتج أيضاً يضاف لها.

- **الدواجن :**إن طبيعة الحياة الريفية البسيطة ساعدت الفلاح على الاهتمام في تربية الدواجن منذ زمن بعيد لسد حاجاته من لحم وبيض، ولم يكن بحاجة لشراء هذه المواد طيلة العام. وكان إنتاجه من هذه المواد يزيد عن حاجته في غالب الأحيان، فيبيع البيض والحمام والأرانب إلى الباعة المتجولين الذين يأخذونها إلى أسواق المنطقة في المدن، أو عن طريق المقايضة المحلية.

يشكل الفلاحون المسلمون الأغلبية العظمى من السكان البالغ عددهم حالياً حوالي 6000 نسمة، والباقي من المسيحيين الذين يعيشون في دير راهبات أرطاس الذي تم بناؤه عام 1901م، ويسكنه حالياً 8 راهبات بالإضافة إلى 7 من البنات اليتيمات من المحافظة. وتنقسم القرية حسب الشكل الاجتماعي في الأساس إلى جزأين رئيسيين حسب موقعهما من العين الرئيسية وسط وادي أرطاس، وهما الجزء الغربي ويسمى "بالحارة الغربية"، والجزء الشرقي ويسمى "بالحارة الشرقية". ومع مرور الزمن وتزايد عدد السكان، فقد ظهرت تجمعات سكانية جديدة بعيدة عن نواة القرية، مثل: منطقة البرك، شعب عودة، الموارس في الجهة الغربية والجنوبية، والشعب الشرقي وقاع الواد، وشعب بابون في الجهة الشرقية والشمالية من القرية، والتي أصبحت متداخلة بمباني مدينة بيت لحم من الشمال والجنوب، وبمخيم الدهيشة من الجهة الشمالية الغربية، وبالخضر من الجهة الغربية والجنوبية الغربية، بالإضافة إلى بنات أرطاس مثل خربة زكريا والحبيلة في أراضي عصيون التابعة لأرطاس، والنحلة في الأراضي الجنوبية لأرطاس.

السياحة والآثار

حسب وزارة الشؤون الخارجية، وضعت السلطة الوطنية الفلسطينية أرطاس على الخارطة السياحية، وصنفت على أساس أنها موقع سياحي ذا طابع أثري، ديني، ثقافي لما فيها من معالم أثرية:

- معبد أقيم على أنقاض المسجد القديم الذي بني كمقام لسيدنا عمر بن الخطاب عندما زار القدس ومر بمدينة بيت لحم.
- دير أرطاس، أقيم عام 1895م.
- برك سليمان، وهي من أشهر المعالم التاريخية والأثرية في القرية، وهي رومانية، رممها السلطان العثماني سليمان القانوني عام 1552م.
- أما الحديث عن مهرجان الخس التراثي، فحدث ولا حرج، حيث أنه يعتبر من أهم المهرجانات الثقافية والتراثية، لما فيه من فعاليات تبرز التراث الفلسطيني وتُعرف بالقرية ووقوفها بوجه الاستيطان الإسرائيلي.[1]

دير الراهبات في أرطاس

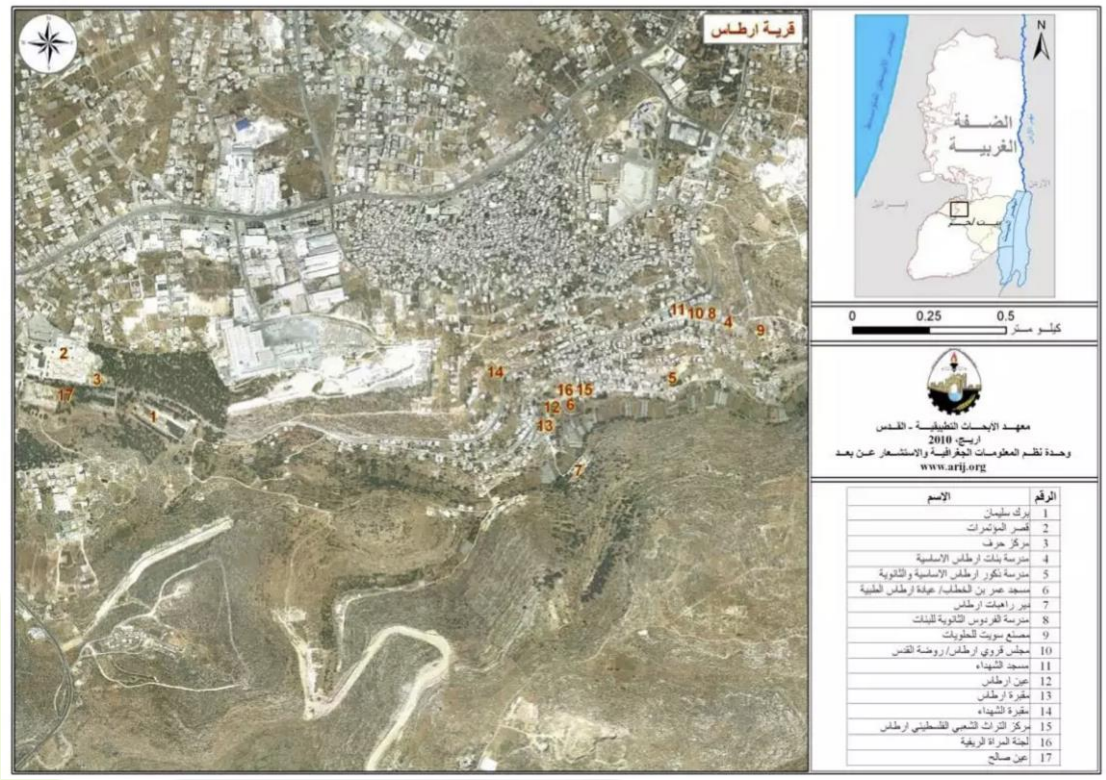

المواقع الهامة في أرطاس

المراجع:

(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا
(2) بلادنا فلسطين ج7 ق2 ص 399 – مصطفى الدباغ.
(3) بلادنا فلسطين ج7 ق2 ص 400 – مصطفى الدباغ.
(4) بلادنا فلسطين ج7 ق2 ص 401 – مصطفى الدباغ.
(5) النباتات الطبيعية والطبية في بلاد الشام – أحمد عويدات.
(6) الحيوانات الطبيعية والمدجنة في بلاد الشام – وصفي زكريا.

الفصل الرابع: التعليم وأعلام بلدة أرطاس ومؤسساتها

اقتصر التعليم والتعلم على التجار وأبناء المتنفذين والأفندية وملاك الأرض، بينما كان الفقر يعم 75% من الشعب. ومع تحرر العرب من الحكم العثماني، فقد كان أهالي البلاد، ومع أن عرب فلسطين ظلوا تحت حكم العثمانيين كغيرهم من بلاد الشام أربعة قرون من الزمن، فلم يلق التعليم أي نفع للعرب الذين ينفقون على المدارس الحكومية سنوياً نحواً من 150,000 جنيه. بينما نجد المبالغ المخصصة في ميزانية الحكومة لعام 1934/1933 قد بلغت حوالي 180,000 جنيه، أي ما يزيد عن 30 ألف جنيه مما تبرع به الأهالي العرب لمدارسهم الحكومية. أما مناهج التعليم فقد شابها عيوب كثيرة، إذ كان واضعو المناهج أيام الانتداب البريطاني من المعلمين الغرباء الذين نزلوا مصر واستخدمهم البريطانيون عيوناً لهم تحت إدارة بعض الإنكليز الذين كانوا يعملون في وزارة المعارف المصرية.

ولما دخل الجيش البريطاني فلسطين، أدخل معه أولئك الأشخاص، ومكافأة لهم عينوهم في إدارة الأقضية وإدارة المعارف، فكان منهم المستشارون لحكام المناطق والمفتشون بإدارة المعارف. وقد تلخص منهج التعليم في المدارس الابتدائية، وأعلى صفوفها الرابع الابتدائي، بدراسة القرآن الكريم والدين واللغة العربية قراءةً وكتابةً، ثم الحساب والجغرافيا والتاريخ. والدارس لهذه المناهج يجدها مجرد حشو معلومات غير هادفة، وتشويه التاريخ بتركيز على التاريخ اليهودي للقدس، وعلى أنها كانت عاصمتهم التي زينوها بالقصور والمعابد، بينما تركزت الجغرافيا على إبراز المستعمرات اليهودية.

لقد امتنع معلمو المدارس عن اقتناء هذه الكتب التي ألفها الغرباء وعن تدريسها. وأمام هذه النقمة، عمدت حكومة الانتداب إلى امتصاص نقمة الأهالي، فعينت جورج أنطونيوس، وهو عربي، مساعداً لمدير المعارف. كما قلصت من هيمنة مفتشي المعارف الغرباء، وعينت لكل فرع من فروع الدراسة مفتشين أخصائيين، وأبعدت عن الاستعمال الكتب التي ألفها واضعو المناهج القديمة، وقررت بدلاً عنها ما وضعه المختصون من أبناء البلاد.

ومع ذلك، فإن المناهج الخاصة بالتاريخ والجغرافيا بقيت مقصرة عما هو مطلوب، فلم تعتنِ عنايةً كافيةً بدراسة التاريخ الوطني الفلسطيني والتاريخ العربي. كما كان ينقصها توضيح الروابط الجغرافية والقومية التي تجعل البلاد العربية وحدة طبيعية وقومية. ولكن الوعي السياسي العربي الذي يحمله المعلمون وغيرهم من المشتغلين بالتعليم، كان كفيلاً بسد هذه الثغرات في مناهج تدريس مادتي التاريخ والجغرافيا.

إن أشد ما يظهر القصور في التعليم زمن الانتداب يتصل بعدد المدارس وعدد الطلاب المقبولين فيها. فقد بلغ عدد الطلاب العرب في العام الدراسي 1945-1946 في جميع المدارس الرسمية 123,775 طالباً، بينهم 81,042 طالباً في المدارس الرسمية. وأما عدد الأولاد العرب الذين كانوا في سن التعليم عام 1946م، بمن فيهم أولاد قبائل البدو، فقد قُدِّر عددهم 316,917 فتى وفتاة. وهكذا يتضح أن حوالي 40% من الفتيان الفلسطينيين كانوا محرومين من نعمة التعليم. وأكثر ما يظهر هذا القصور في مدارس القرى، فقد كان في البلاد في أواخر عهد الانتداب 732 قرية، فضلاً عن مضارب البدو

ولاسيما منطقة بئر السبع. فقد بلغ عدد مدارس الصبيان في القرى عام 1945-1946م الدراسي 377 مدرسة، وعدد مدارس الإناث 55 مدرسة. أي أن قرى البلاد كانت بحاجة إلى أكثر من 355 مدرسة للبنين و677 مدرسة للبنات ليعم التعليم في الأرياف الفلسطينية.

أما مراحل التعليم زمن العثمانيين، فقد جاء في الموسوعة الفلسطينية ج2 للدكتور عبد الكريم رافق ص939 بقوله: "وما جاء في صنجقي عكا والبلقاء عام 1893-1894 الدراسي: أنه كان في طيرة طولكرم 48 طالباً من الذكور". وقد أحدثت السلطات العثمانية مدارس جديدة، وزادت عدد الصفوف من الرابع ابتدائي حتى الصف السادس، أي حلقة ابتدائية كاملة.[1]

وتشير النسب المئوية للميزانية المعارف في سلطة الانتداب على فلسطين إلى شحها وهزالتها. فقد كانت ميزانية المعارف (التعليم) على مدى ثلاث سنوات دراسية كما يلي:

السنة الدراسية	النسبة
1941/1940	%5.9
1943/1942	%4.6
1944/1943	%3.4

بينما ميزانية الأشغال العامة 38%، والأمن 34%، والصحة 14%.

بلغت نسبة الأمية لدى سكان قرية أرطاس عام 2007م حوالي 6.5%، وقد شكلت نسبة الإناث 71.8%. ومن مجموع السكان المتعلمين، كان هناك 14.5% يستطيعون القراءة والكتابة، 30% أنهوا دراستهم الابتدائية، 35.5% أنهوا دراستهم الإعدادية، 14.6% أنهوا دراستهم الثانوية، و5.4% أنهوا دراستهم العليا. الجدول (1) يبين المستوى التعليمي في قرية أرطاس حسب الجنس والتحصيل العلمي لعام 2007:

نوع الجنس	أميين	يستطيع القراءة والكتابة	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	دبلوم متوسط	بكالوريوس	دبلوم عالي	ماجستير	دكتوراه	غير مبين	المجموع
ذكر	45	171	359	442	180	20	44					1264
أنثى	115	162	330	375	156	21	36					1195
المجموع	160	333	689	817	336	41	80					2459

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2009. التعداد العام للسكان والمساكن، 2007، النتائج النهائية(1) .

أما فيما يتعلق بمؤسسات التعليم الأساسية والثانوية في قرية أرطاس في العام الدراسي 2009/2008، فيوجد في القرية 4 مدارس حكومية: اثنتان للذكور، واثنتان للإناث، يتم إدارتها من قبل وزارة التربية والتعليم الفلسطينية. ولا يوجد في القرية أية مدارس خاصة (انظر الجدول رقم 2).

يبلغ عدد الصفوف الدراسية في قرية أرطاس 35 صفاً، وعدد الطلاب 1261 طالباً وطالبة، وعدد المعلمين 59 معلماً ومعلمة (مديرية التربية والتعليم- بيت لحم، 2009). وتجدر الإشارة هنا إلى أن معدل عدد الطلاب لكل معلم في مدارس القرية يبلغ تقريباً 24 طالباً وطالبة. أما فيما يتعلق بالكثافة الصفية، فنجد أن معدل عدد الطلاب لكل صف يبلغ تقريباً 36 طالباً وطالبة (مديرية التربية والتعليم - بيت لحم، 2009). كما يوجد في قرية أرطاس روضتان للأطفال (مجلس قروي أرطاس، 2009)[1].

يوجد في القرية جمعية أرطاس الزراعية التعاونية والتي أسست عام 1962م. ويوجد في القرية ثلاث مدارس ثانوية للذكور وثانوية للإناث، وابتدائية للإناث والذكور. ويوجد جمعية أرطاس الخيرية التي تأسست عام 1981م، وتشرف على روضة أطفال ومركز لمحو الأمية.

أرطاس وشخصيات أوروبية

تملك في القرية العديد من الأوروبيين أمثال: هنري بالدنسبيرغر، وبيتر ميشولام، والأمير هنري ابن الملكة فيكتوريا الذي ابتاع أراضٍ في القرية عام 1850م، واستوطن فيها.

[1] فلسطين في الذاكرة

ومن أهم هؤلاء الدكتورة الفنلندية هيلما غرانكفست، عاشت في القرية ما بين عامي 1925 و1931م، وعادت لفترة أخرى لاحقاً. وأطلق عليها سكان القرية اسم "حليمة" لشدة ما عُرف عنها من حبٍ لسكان القرية، والذي ما زال بعضهم يذكرونها حتى الآن بهذا الاسم. تعلمت هيلما اللغة العربية وتحدثت بلهجة أهالي أرطاس، وكتبت خمسة كتب عن حياة الإنسان الفلسطيني، متخذة من إنسان أرطاس نموذجاً، وحققت شهرةً عالمية. ومن بينهم من حاول استكمال عمل هيلما، مثل الباحثة البريطانية شيلا واير التي زارت القرية عامي 1978 - 1979، أو مواطنتها كارين سيغر التي أعدت كتاباً عن القرية اعتمد أساساً على مجموعة الصور النادرة والمثيرة التي التقطتها هيلما.[2]

الشعر العربي الفلسطيني ودوره:

إن الاطلاع على تراث الشعب الفلسطيني من أغان وأهازيج وشعر ملحمي بطولي وأناشيد حماسية، تشكل مادة غنية مهمة في هذا الوقت، حيث تتكالب عليه قوى الشر والعدوان، وتزداد المؤامرة لسلخه عن ماضيه. ويرى الشهيد غسان كنفاني أن الشعر الشعبي الفلسطيني في الأرض المحتلة لم يكف أبداً عن القيام بدوره في المقاومة، مستخدماً كل الوسائل التي يستطيع الغناء الشعبي تجنيدها ليجعل منه سلاحاً وقت الحاجة. وأن الكثير من سكان الأرض المحتلة يعتقدون أن مصرع الشاعر الشعبي المعروف (حميد) في أم الفحم أول الخمسينات، وهو على رأس تجمع، كان محاولة للوقوف مع آلاف المواويل والعتابا والميجنا والتي كان يوزعها في طول الليل وعرضه ضد الاحتلال وحكمه. ولا ننسى الشاعر الشعبي (أبو عرب) المرحوم إبراهيم الصالح من قرية الشجرة قضاء طبريا، الذي استشهد بها الشاعر عبد الرحيم محمود عام 1948م في معركة مشهورة. لقد لعب هذا الشاعر المرحوم إبراهيم الصالح (أبو عرب) دوراً هاماً في تحريك العواطف ودغدغة القلوب وإثارة الأشجان، فقد ملأ إنتاجه الدنيا وشغل الناس، ودخلت أغانيه وأشعاره أرشيفات الإذاعات ومحطات التلفزة، كما طبعت له دواوين ضمن أشرطة مسجلة.

لقد امتدت الظروف الصعبة بالشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور حتى الآن. ففي بيت من العتابا نرى قصة وعد بلفور تقول:

- وعد بلفور هالمشؤوم جاير على الرهبان والإسلام جاير
- تناسى العدل وأضحى الظلم جاير ملوك العرب ما فيهم حساب

وعدم تجاهل الوضع الحالي المأساوي، حيث نرى ذلك في هذه المواويل:

- كنا في العمر مهما طعنا أسود الغاب في الغابة طعنا
- أتانا زمن في الأحشا طعنا سهم الفولكلور الفلسطيني

الحياة في القرية

تسعى البلدية إلى تأمين الرخص للبناء، إلى جانب تعبيد الطرق وتطويرها. ولما كانت الأسرة في أم الفحم مترابطة ومتماسكة، لا تزال تحتفظ بالعادات والتقاليد وتمارسها وتعتز بها، فإن صيرورتها ستدوم على الدوام لتتلاءم مع كل ظرف جديد صالح للناس والمجتمع في المدينة. إن طفرة التقدم التي تعيشها الأسرة في أم الفحم هو نموذج لما ذكرناه من استمرار ثبات الأسرة على تقاليدها وعاداتها بحكم الدين والأخلاق الحميدة والمثل العليا، رغم أن أغلب سكانها يعيشون ضمن عصرين من الحياة (الحياة القروية والحياة المدنية)، أي مخضرمون يحملون الماضي مع الحاضر، وهذه ميزة تحمل الكثير من الخبرات والمعارف.

الفصل الخامس: الفولكلور الفلسطيني في بلدة أرطاس

(السكن، الديوان، التقويم الشعبي، الطب الشعبي، التفاؤل والتشاؤم، التعاون، والألعاب)

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه. والأمثلة كثيرة.

ففي النباتات والمعتقدات: تروي عجائز القرى عن (الدالية) أن الأسد سقاها، ثم سقاها الطاووس، فالقرد، والخنزير. وعندئذ، صار من يشرب من عصيرها شرسًا كالأسد، متكبرًا مثل الطاووس، وثرثارًا كالقرد، أو نجسًا كالخنزير. وابن آوى حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.

- **الثعبان** :أنجس الحيوانات إطلاقًا في المعتقدات الشعبية، وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة. ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة. وتحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية، فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.
- **الحرباء** :غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق.
- **أخبث الحشرات** :أم أربعة وأربعين، إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.
- **شجرة الرمان** :المباركة، ولها سلطان على الأرواح الشريرة. وكثيرًا ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.
- **شجرة الزيتون** :شجرة مبجلة موقرة في فلسطين، لأنهم يعتقدون أن وليًا يسكنها. ويروى عن قريتي عاقر والنعاني أن عددًا من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتسمع موسيقى غير مألوفة. وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد "الله الله".[2]

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي

- يقولون: درهم وقاية خير من قنطار علاج.
- عَصْب إصبعك مليح، لا يعمل ولا يتقيح.
- إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك أحرمه.
- كل مع الكافر، ولا تأكل مع طويل الأظافر.

إن الطب الشعبي يلجأ للعلاج، وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس وأدوات التشطيب لإخراج الدم الفاسد من كاسات الهواء، وفصد الدم من الوريد، أو مسمار الكي. والقصب البري يجبر الكسور، وكذلك مزج الأعشاب كدواء. وللبثور، يستخدم زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران والكبريت وزيت الزيتون والحناء المجبولة بالماء والطحينة.

ويعالجون السعال بنبات البابونج، وحتى لإدرار البول يغلون الشعير. وما البقدونس والرشح؟ يدهنون الصدر بالزيت الحامي ويسقى المريض البابونج والزوفاء. وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل. وللإمساك ينقعون بذر والخلة في الماء ويشربونه.

أما الطب الشعبي في العلاج، فيستخدم: للبثور: زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران. للجرب: الكبريت وزيت الزيتون. لتشقق أصابع الرجلين: الحناء المجبولة بالماء والطحينة. لتسلخ الجلد: تراب أبيض يسمى تراب رشاق (أي كلس أو شيد). ويعالجون السعال بنبات البابونج. ولإدرار البول: يغلي الشعير وماء البقدونس. للرشح: يدهن صدر المريض بالزيت الحامي ويسقى البابونج والزوفا. للإسهال: يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل. للإمساك: ينقعون بذور الخلة في الماء ويشربونه. للنزف: يعالج بأوراق الطيون أو رماد السجائر أو بوضع البن على الجرح. للحرق: يرش عليه ملح أو نيلة أو يدهن بالطحينة. ويستخدمون كاسات الهواء للنزلات الشعبية الصدرية، وتشطيب الأذنين لضربة الشمس.

العلاج الديني

طاسة الرعبة

وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم، مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، منقوش عليه سورة من القرآن، على الغالب آية الكرسي أو المعوذات. ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس ويسقى منه المرعوب أو المريض. وفي بعض الكاسات ينقش عليها: "بإذن الله تشفي هذه الكأس من السموم". وبعض الكاسات توحي بالأبراج السماوية، لأن لكل إنسان برج حسب مولده. وأحيانًا لا يعرف أي برج ينتمي إليه، لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن المرء لأي برج ينتمي. وعلى ذكر الأبراج، فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية. وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية. وإني أسهل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية ببيتي الشعر:

حمل الثور جوزة السرطان ... ورعى الليث سنبل الميزان

وزَنوا عقربًا وقوسًا بجدي ... ومن الدلو مشرب الحيتان

من الأمثال في الطعام

يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له. لذلك هناك أقوال شائعة كثيرة بالطعام منها:

- اعزم والزم، والأكل نصيب. وأحيانًا يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو، ويقال عندها: ما حدش يوكل نصيب حدا، ما بيوكل طعام حدا.
- قيل للمدعو: زد، فيجيب: أكلت اللي فيه نصيب.
- والأمثلة حول الطعام كثيرة، منها على سبيل الإيجاز:
- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار)
- غُبّ غبّ الجمال، وقم أول الرجال
- أطعم الفم تستحي العين
- إن غاب عنك السمن، عليك بالزيت (للقناعة بالموجود)
- الله يطعم الحمص للي مالوش سنان
- طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية
- اللي بدو يوكل عسل يصبر على قرص النحل
- اللي عنده قمح يقرضوه طحين

في التقويم الشعبي (الجيد والمكروه من الحيوانات)

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء. فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين، ويبدأ في 14 أيلول وهو عيد الصليب، لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد. وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون "شراقي الصليب" أو "شراقي الخريف"، وهذه الرياح هي الرياح الفاصلة بين الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول، لذلك يطلق المثل القائل: "أيلول طرفه مبلول". وإذا هطلت الأمطار يقولون: "الموسم بدري". إذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى، وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه، ويقولون في سنة الشراقي: "بتدور وما بتلاقي" أي لا خير فيها. ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً، ويسمونها "شتوة المساطيح" لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء، والزبيب إذ ينشرونه حتى يجف. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء، كما يقولون: الأولى والثانية والثالثة (يوم فتوح)، ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم انبوح)، ويوم السابع والثامن والتاسع (يوم منوح)، أي شتاء جديد في تفسير البعض.. وفي هذا الموعد يبرد الطقس، ويقول الناس: "مالك صيفيات بعد الصليبيات". ويقولون: "إن أبرقت على الصليب ما بتغيب". وفي شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق بأنه علامة المطر: "عند البرق الدنيا بتخبط". وأما إذا أبرقت وأرعدت: "زواريبها طرطقت". ويقولون عن المحاصيل: "متى صلبت خربت"، أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع. ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم، فيقولون: "يودع العنب والتين السنة". وفي أكتوبر (تشرين أول) تجف مياه الآبار، فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء. ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة: "في عيد لد شد

يا فلاح شد، ما بقي للشتاء فعد". أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض)، الفحول رمز الإخصاب، فيقولون: "بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل". ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها. أما شهر شباط فهو غير مستقر: "شباط الخباط ما عليه رباط". أما المستقردات، فإنها جاءت في قصة لعجوز وغنامتها، والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل مطر، فسمع شباط العجوز تقول: "راح شباط ودسينا في عجزه المخباط"، فغضب شباط وقال لأخيه آذار: "أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة، حتى نجعل العجوز تحرق دولابها"، أي لم يبق للعجوز من الوقود تحرقه من شدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعتاش.

أما أسعد ذابح، فإن قصته تقوم على: أربعة شبان يحملون بضائعهم تحملها أربعة جمال، وتعرضوا في طريقهم لموجة برد قاسية فمات ثلاثة وبقي الرابع. فقام يذبح ناقته وسحب ما في جوفها ونام داخلها ونجى. لذلك يقولون: "أسعد ذابح."

أما الربيع فهو فصل العشب، يبقى أسيرة (المربعينية). وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار، وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام.

الألعاب الشعبية

من الألعاب التي اعتاد القرويون ممارستها، وما أكثرها، منها مثلًا:

1. **لعبة الطابة :**تصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتُخاط. ثم يأخذها الأولاد ويحمل كل منهم عصا طويلة، ويتنافسون على سحب الكرة إلى المرمى، وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.
2. **لعبة الغميضة :**تتم القرعة على من يبدأ اللعب، وتُعصب عيناه وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به (لعبة العمى).
3. **لعبة العصا والعصاة المثبتة في ثقب حجر ثقيل :**من يستطيع ضرب العصا المثبتة فيكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به، يكون الفائز.
4. **لعبة الريشة (البيرم) :**وهي لعبة متطورة، تؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب، واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية. يقذف حامل الكرة الكرة للأعلى، فيضربها الآخر فتطير الكرة في الجو، وعليه الركض ليمسك بها. وهذه كانت لعبة الكبار.
5. **لعبة القفز العرضاني :**وهي حفرة مستطيلة فيها رمل أو تراب، يتنافس الأولاد بالقفز. ومن يزداد طولًا في قفزته يكون الفائز.
6. **مسابقات الركض :**وهي السائدة بين اللعب، ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.
7. **القفز العالي :**يمد حبل بين عمودين بارتفاع معين. فإن كان الولد عمره ست سنوات، يثبت الحبل على ارتفاع 30 سم. وإن كان عمره فوق ذلك، يرتفع الحبل حسب الطلب. أما في الوقت الحالي، فإن اللعبة تطورت إلى درجة كبيرة من التقنيات.

8. **لعبة المنة :**وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام. ولعبها يتم كالآتي: يؤخذ عود من غصن شجرة طوله طول مسطرة (20-30 سم) على حجر بشكل مائل، ثلثه بارز للأعلى. ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه، فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس. وإذا التقطه هذا الفريق، صارت اللعبة لهم.
9. **لعبة المنقلة :**يقتصر لعبها على اثنين من اللاعبين. وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين 40-50 سم، محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة إلى قسمين، كل صف سبع حفر. ويوضع في كل حفرة 7 حبات من عجم الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول. ويبدأ اللعب عادة الكبير في السن، إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من حفرة الحبات في الصف الأول ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئًا من اليسار إلى اليمين. وعندما ينتهي، يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته ويوزعها هو الآخر، ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل اللاعب السابق. وهكذا. عندما يوزع الحبات، إذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي حبة واحدة، يربحها، أي يأخذ الحبتين. وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي 3 حبات، أيضًا يربح أربع حبات. أما إذا كان أكثر من ثلاث أو أربع، فلا يربح. ويستمر اللعب حتى لا تبقى أية حبة في الحفر، وعندها ينتهي اللعب.

وفي الأعياد، يذهب الأطفال إلى المراجيح بأنواعها، ويشاهدون مراكز عرض الصور عن طريق صندوق العجائب أو الكراكوزاتي أو الحاوي (لاعب السحر)، أو الذهاب إلى المدينة للتدرب على النيشان ببارود الخردق أو استئجار الدراجات وغيرها من الألعاب المتوفرة. أما هذه الأيام، فإن ألعاب الفيديو المتعددة والجوال المتنوع الأهداف يشغل الناس كبيرهم وصغيرهم، ويأخذ الوقت الكبير من نشاطاتهم، ويحولهم إلى عوالم أخرى تستنفذ أوقاتهم وتستهلك نفقاتهم، وتلهيهم عن الأكل والشرب. في كثير من الأحيان تضعف أجسامهم التي حرمت من اللعب والمرح والرياضة، وتلهيهم في كثير من المرات عن تأدية واجباتهم المدرسية، حتى كاد (الآي فون) يخدر عقولهم وأحاسيسهم، رغم المنافع التي يكتسبها العاقلون من المستخدمين.

التعاون :هناك عادات التعاون في الزراعة: في حراثة الأرض وبذر البذور أو زرع الأشتال، وجمع الثمار (الزيتون) والحصاد، وجمع الإنتاج ونقله إلى البيدر أو المعصرة للزيتون. وتتجلى فكرة تعاون أهل القرية بالتعاون أثناء الأفراح والأتراح والحرائق ومصائب الطبيعة، فتراهم عند الزواج يشاركون أهل العريس والعروس بكل جوارحهم، يخففون عنهم الحمل الثقيل. وكذلك بالأتراح والمصائب، يشاركون أهلها الحزن والأسى. إن العقد الاجتماعي في القرية كبير قوي عميق، وبشكل خاص في الماضي القريب، بينما أخذت تقل هذه الأيام، وتحولت المراسيم إلى صالات من بناء واسع كبير مجهز بالطاولات والكراسي، تزينه الورود والكهرباء وساحات الرقص في الأفراح، تقدم فيه أطباق للطعام والحلويات والفواكه. وفي الأتراح تكون القاعة واسعة أيضاً، معمَّمة بالسواد، مليئة بالكراسي للمعزين من أهل القرية وغيرها. كانت الأخبار تصل بعد يوم أو أكثر، صارت الأخبار تصل خلال ثوان. في الوقت الحاضر يصل الخبر إلى كل أهل القرية خلال ثوان عن طريق الخلوي.

التعاون بالأبنية :جرت العادة في معظم قرى فلسطين مساعدة البناء في سقف البناء، عن طريق قيام شباب القرية أو بعضهم مساعدة بناء البيت عند سقفه (الطوبار). وتلك يخلط الرمل والكلس مع الإسمنت لإعداد الجبلة، ثم ينقلها على أكتافهم بتسلق السلالم المتعددة إلى سطح البناء. وهنا يفرغون الخلطة إن كانت خلطة (إسمنت رمل) أو أسمنت أو

كلس و (إسمنت أو طين مخلوط بالتبن) (سيقان الحنطة والشعير). وإذا كان سقف البيت بشكل قبة، ينتظرون البناء ليضع آخر حجر بالقبة، وهنا تبدأ الأغاني والزغاريد والتكبيرات. بعدها يقوم الشباب بنقل التراب والبحص والحجارة المحمولة لردم فجوات القبة حتى تتساوى مع السطح، ثم تغطى بطبقة من الرمل والإسمنت، وتسلط على فتحة ينزل منها مزراب ينقل الماء عن السطح إلى أسفل ليصب في بئر معد لخزن ماء الأمطار، ليستخدم في الصيف في التنظيف أو سقاية الماشية والحيوانات الأخرى. في كثير من الأحيان كانت تذبح ذبيحة وتطبخ للعاملين، عرفاناً وتقديراً لمساعيهم الحميدة. ويتجلى التعاون بالحصاد ونقل الحصيد على الجمال إلى البيدر، وجمع الزيتون بعد قطفه إلى المعاصر. وفي الأتراح، يحاول أهل البلدة التفريج عن المصابين بمواساتهم ودعوتهم للطعام، أو مساعدتهم في الإكساء أو المال ومواد المؤونة، وما أكثرها. هذا قليل من كثير ذكرته من عوامل التعاون في القرية.

والأمثال الفلسطينية منها الكثير، تستخدمه معظم قرى فلسطين، مثل:

- الديك الفصيح من البيضة يصيح.
- بدلو غزلانها بقرودها.
- بيت الأسد ما بيخلى من العظام.
- برش على الملح سكر.
- بين حالنا ومالنا ضاعت لحانا.
- تاجرنا بالكفان بطل حدا يموت.
- تعلم البيطرة بحمير النور.
- تتيتي تيتي مثل ما رحتي مثل ماجيتي.
- جارك القريب ولا أخوك البعيد.
- أجا يكحلها عماها.
- جرح السيف بيلتئم وجرح اللسان ما بيلتئم.
- حاميها حرميها.
- حط راسك بين الروس وقول إقطع يا قطاع الروس.
- حضروا العرس والعريس ما خطب.
- خذ الأصيلة ولو على حصيرة.
- خبر اليم بمصاري بكرة بصير ببلاش.
- خذ بنت عمك بتشيل همك.
- دخن عليها بتنجلي.
- درهم وقاية خير من قنطار علاج.
- دود الخل منه وفيه.

- ذيل الكلب أعوج ولو عداته.
- راح قدوم رجع منشار.
- زاد لطين بلله.
- زي الأطرش بالزفة.
- زي مسمار جحا.
- سباعها نامت وثعالبها قامت.
- سبع صنايع والبخت ضايع.
- سيد القوم خادمهم.
- سلاح بيد الجبان بيجرح.
- شتان بين الثرى والثرية.
- شايل القدر من ذيله.
- شرابة خرج.
- صارت عظامه مكاحل.
- صاحت عصافير بطنه.
- صام الدهر وأفطر على بصلة.
- طلعنا من حت الدلف صرنا تحت المزاريب.
- عصفور باليد خير من عشرة على الشجرة.
- عادت حليمة لعادتها القديمة.
- عمره الدم ما بصير ميه.
- غلطة الشاطر بمئة.
- على قد فراشك مد رجليك.
- ضرب الحبيب زبيب.
- ضربتين على الرأس بتوجع.
- ضاع الحمل والجمال.
- ضاع الجمل بما حمل.
- طباخ السم بذوقه.
- طلع من المولد بدون حمص.
- فضيحة وعليها شهود.
- غزواته كسر عصاته.

المراجع:

(1) تعيينات في دراسة المساكن – للدكتور أنور نعمان، قسم الجغرافية، جامعة دمشق.

(2) الموسوعة الفلسطينية خاص ج4 – فكتور سحاب.

(3) الفولكلور الفلسطيني ج1 – نمر سرحان.

(4) الموسوعة الفلسطينية خاص ج4 – فكتور سحاب.

(5) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير

الفصل السادس: الفولكلور الشعبي في بلدة أرطاس

((الغناء وأنواعه والزواج ومراحله)

الغناء أنواعه ومعانيه

الغناء: هو صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدال على المعاني، وتشترك الأمم في العادة على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري، وهي ظاهرة طبيعية إذ أن حنجرة الإنسان تتكون من أوتار متفاوتة، والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل، فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر، ويُلقب مثل هذا الصوت تكنيكياً بالصوت الصدري. أما الغربيون فيختلفون بطريقة يهزون بها أجزاء من أوتار الحنجرة فقط مع ارتخاء بالحلق وتنفس من الأنف، ويعرف هذا الصوت بصوت الرأس. وقد حدد خبراء الفن أنواع الأغاني العربية بما يلي:

1) **التحنين :**أغاني للحجاج.
2) **الندب :**تقوم به نساء محترفات تعبر عن الحزن.
3) **المطوعة :**أغنية الزفاف للمرأة البدوية.
4) **القصيدة :**ذات القافية الواحدة في الطرفين الثالث والرابع.
5) **الموال :**على نوعين (موال مصري وموال بغدادي).
6) **العتابا :**اعتبرها موالاً ذا أربعة أسطر.
7) **الهلابا :**شطران ينتهيان بكلمة هلابا، كذلك مطالع المعنى والقريدي.
8) **الجعيدي :**نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد.
9) **الزجل :**ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه، مثل الميجانا، موليا، زينه، هويدلي.
10) **الترويد :**تعني في الأعراس ولدى البدو وعند حلب المواشي.
11) **الحداء :**غناء أثناء رعي أو قافلة الجمال.
12) **أهلالا :**وتغنى في الكروم، كما تشمل الشوباش ثم الزغردة وتقال (إيها) في شمال فلسطين و(آيها) في جنوبها.

وقد تكون الأغاني لبنانية أو عراقية، مثل: زريف الطول، مرمر زماني... وغيرها. ومن العراقية الموال البغدادي والميجانا، ومن البدوية. وإن أكثرها انتشاراً في كل القرى بفلسطين هي الدلعونة وتأتي على طريقتين في الأداء، يلتزم بأحدها عازف الناي أو المجوز أو الربابة المنفرد.

أما فيما يتعلق بالمغني، فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحناً وتضميناً. وبالنظر إلى عدم وجود مكبرات الصوت قديماً، كان المفروض أن يكون المغني صوته عالياً جهورياً قوياً. ومن مؤهلات المغني أيضاً أن يكون ذا ذاكرة قوية يحفظ الكثير من الأغاني والأشعار. وفي الأعراس عادة يبرز إلى الساحة شاعران للمناظرة والتحدي

حول موضوع معين مثل الفلاحة والمدنية والبيضة والسمرة والعلم والمال والكرم والبخل والسيف والقلم وغيرها، والكثير منها ما يحدث في السحجة.

وقد تكون الخلفيات الاجتماعية للأغنية الشعبية في ظروف المجتمع وعاداته وتقاليده من البداوة إلى الزراعة وحياة المدن، إذ تبين العادات التي تركز على الأسرة كوحدة تقليدية. فالأسرة تعتز بأمجادها وتحاول دوماً أن تحتكر المكانة الاجتماعية في مجتمعها، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية ثم تماسكها الوحيد ضمن إطارها (أنا وابن عمي على الغريب). والزواج بنظرهم هو اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد الزوجين، وتحتل عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل ابن العم حتى على ابن الخالة، وما ينتج عنه من مشاكل وإضاعة للفرص المفضلة للعروسين فيما ترك لهما حق الاختيار.

ابن العم يا شعر على ظهري

إن حال الموت لا رده على عمري

ابن العم يا نوبي علينا

إن حال الموت لا رده بأيدينا

وفي حال زوج الأب ابنته من غير ابن عمها طمعاً منه بمهر أكبر، فتقول الأغنية:

يا ابن العم يا كومة تراب

يا ابن العم أخذوهم الغراب

يا ابن العم رميتك للضبوع

بنات العم أخذتهم السبوعة

والفلاح يشارك جاره في السراء والضراء متمنياً الخير لجاره:

والجار أولى بالشفعة، الجار ولو جار، وقيل من أدرى بحالك والجواب ربك وجارك.

وتغني النسوة عادة فيزغردن ويقلن:

ها هي يا جار المجاورني

ها هي يا جار الرضا

ما أنت جار خواني

ها هي ما أنت طلاع ع حيطان جاراتك

وعصبية الجاه والمركز وآثارها الاجتماعية إذ أن للطبقة أثرها في الفرد الفلسطيني. وأغلب الأسر الفلسطينية كانت في الماضي تعيش على هامش الحياة الزراعية، وهناك طبقات من الأثرياء والتجار وملاكي الأراضي والعقارات. وكثيراً ما تشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق، فيتباهى أصحاب الجاه بما لهم من نفوذ، كما تتفاخر نساؤهن بلبسهن الثمين ويقال:

يا بو العروس نلبس ملوكي

لفت عليك الأمارة والدراويش

ريدونا ريدونا

نسايب لا تزعلونا

عادتنا نلبس شنابر

ما بتناسب إلا الأكابر

ردونا رودونا

نسايب لا تزعلونا

إن أغلب الأغاني الشعبية في منطقة المثلث متشابهة ومتكاملة وكذلك بمفردات الفولكلور الفلسطيني لأن الجذور واحدة والمنطقة مشتركة والعادات متكاملة الكم والنوع.

وعن الغربة الطويلة يقولون:

وأغمس ريشتي في قلب قلبي

وأدمي وجه مغتصبي بحد سكيني

وإن كسر الردى ظهري

وضعت مكانه صوان حطين

وتأكيداً على الهوية الفلسطينية يدعو معين بسيسو إلى الحذر:

يا جلدنا حذار

يا وجهنا حذار

يا وجهاً الذي أراه كلما استدار

وكلما أوشك أن يصير بدراً

أطلقوا عليه النار

وصورة الوطن لسميح القاسم، وهي متعددة، إحداها:

قامرت في ملهى السنين خسرت

جوهرتي الفريدة في مزاد الآخرين

وبكيت في أسف وأخفيت دموعي

ودفنت في صمت أزهاري

ورجعت للبيت الحزين أبكي

على جدرانه وأبوح بالسر المعين

ومن المواويل:

على فراق الولف قلبي لواني

صرت مصدوماً واتغيرت ألواني

يا ريتني عقد والصايغ لواني

مخبأ بين نهديك والثياب

المواويل وما يتعلق بالأرض:

حراث يا عمي

رمي على البقر رمي

وكم مليحة تقول للنذل عمي

حراث يا خالي

لا لي عا إبقر لا لي

وكم مليحة تقول للنذل خالي

أما مخاطبة المنجل:

منجلي يا منجلاه

راح للصايغ حلاه

منجلي يا بو الخرافيش

طاح بالزرع يطاحن

منجلي يا بو رنة

وأنا جبته من غزة

وعن قطف الزيتون:

يا زيتون اقلب ليمون

اقلب مسخن في الطابون

يا زيتونة بو مري

هر لي بلح هرلي

يا زيتونة بو عرموش

هريلي ذهب وقروش

ومن غناء الرعاة التي تتحدث عن الراعي الذي ترك مهنته ثم عاد بعد وقت طويل:

طلبن الغنم من قرنة الزنار

عرفت الغنم وأغشمت هالرعيان

طلبن الغنم من قرنة الوادي

عرفت الغنم وأغشمت الراعي

أما دعاء طلب المطر:

يا رب ما هو بطر

بنطلب منك

يا رب ما هو غية

بنطلب منك ميه

يا رب مطر مطر

حتى نسقي هالبقر

يا رب رشاش رشاش

حتى نسقي هالجحاش

وغناء البناء والبنائين:

صلى الله على الزين الهادي

ومعانا مدوا الأيادي

ثم يغني أصحاب البيت لمعلم البناء:

إعطوا المعلم عقاده

ما طلب أعطوه عكا مع حلب

يا معلم مبروكة الدار

بيكبروا ويسكنوعا الصغار

أما علاقة الفلسطيني بالبحر:

فلان نزل البحر وبيده كيلة

يا رب يرجع لها العيلة

فلان نزل البحر وبيده بريق

يا رب يرجع سالم من هالطريق

فلان نزل البحر لولح محرمته

يا رب يرجع سالم لحرمته

وينشد الصيادون سواء على الشاطئ أو في عرض البحر:

واجي طولك على طولي بلا قيس

وبحر حايط الدنيا بلا قيس

وحق مين خلق الدنيا بلا قيس

قلبي ما هوى غيرك حدا

بالنسبة للدلعونا: تمتاز بأوزان خاصة وقد عرفت الدلعونا في جميع أنحاء فلسطين. ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا

نسم يا هوا الغرب الحنونا

والله إن متت ياما اقبروني

بأرض بلادي بفي الزيتونا

وزريف الطول يقوم الشعر على نفس نمط الدلعونا على مجزوء بحر الرمل:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك

ياللي رابيي بدلال أمك وأبوك

يومن جانا الخبر إنهم خطبوك

شعر راسي شاب وقلبي انكسر

أبو الزلف الجفرا: وهي أغنيات الدبكة: إذ تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع ألف ممدودة.

عال عين يا أم الزلف

عين الزلف لينا

قلبي جرحه الهوا

وين الدوا ليها

جفرا ويا هالربع

عا البير نشالي

يا مزنرا بالطقم ... فوق الطقم سالي

الشهيرة للعريس (عريسنا عنتر عبس) يرددها الرجال في موكب الزفة أثناء مسيرهم:

عريسنا عنتر عبس

عنتر عبس عريسنا

عريسنا زين الشباب

زين الشباب عريسنا

عريسنا ابن الكرام

ابن الكرام عريسنا

واللي يعادينا نذبحه

ونقطعه بسيوفنا

وللزجل أنواع شائعة في الشعر الشعبي العربي:

بدنا نحكي بدنا نقول

ما بدنا حكي وطبول

بدنا نحرر بلدنا

هذا الكلام المعقول

وكما في الزجل فإن المعنى يؤدّى من قبل مغنٍ أو اثنين ويسيطر على المغنى جو عاطفي حزين:

قال المثل عمر الأسى ما بنتسى

شط بحر الفن مركبنا رسا

يللي بأمس جنحه انكسر

حاول الفرار أو ريشه كسا

والعتابا: وهي الأغنية الشعبية المفضلة في بلاد الشام وتحتل المرتبة الأولى بين ألوان الغناء الشعبي في فلسطين، ويمكن أن تغنى بدون موسيقى أو برفقة الناي (النشابة)، وهذا النوع أكثر شيوعاً في الجليل في الغزل وقيمة المكان يقول:

نزل دمعي على خدي من الرأس على

اللي زمل الجرة على الراس انسوا ديرة بعلبك مع الرأس

وحنا كروم زحلة والعنب

يتمنى الشاعر عودة كل غريب إلى بيته وبلده لعله يجتمع بمن يهوى:

زرعت الهم في قلبي ع بيته

يارب ترجع الغائب ع بيته

بأنا شاعر وبيدور ع بتها

بالسطرين غاب سقا الله يوم كنتم لنا قراب

نشرب منابعكم والقراب

ما تقولوا لنا أهل وقراب

لهم أحباب بيوفوق السحاب

يوم الأرض:

ليوم الأرض يا هالعرب عدوني

صهيون عاسخنين عدو

سبع شهدا بالبلدين عدو

وقنابلهم بعرابة لها عدو

وعن تشريد شعب فلسطين ولجوئه للمخيمات والكهوف بقوله:

شعبنا اللي سكن مغر ومخيمات

لق علقات مرات وخيمات

بني صهيون أحرقت حرمنا

للعار عاكل العرب

الرقص الشعبي: مناسبات الرقص الشعبي هي نفسها مناسبات الغناء الشعبي وتتجلى كما يلي:

1. **الدبكة :**وهي رقصة شعبية تعم بلاد الشام كلها، وهي أنواع منها: الدبكة الشمالية، والطيارة، والعرجاء، والفتوحية، والفرادية (الكرادية)، والسبعاوية، والمثلوثة. وعلى سبيل المثال فإن الشعراوية تشبه الدبكة الشمالية وتقتصر على الرجال بسبب عنفها، وهي السائدة في شفاعمرو وقضائها. وتختلف الكرادية عن النموذج العام للدبكة الشمالية بعدم وجود ملوح فيها وباشتراك النساء فيها بكثرة. والدوائر هي الشكل الذي تتخذه حلقة الراقصين، ويتوسطها عازف الناي. ويفيد أكثر من مرجع أن دبكتي الطيارة والخليلية، تمتازان بالرشاقة والحركات المجهدة وأنهما تحتاجان إلى مزيد من الانضباط والدقة في الرقص.
2. **السامر:** وهو يمثل الحفلة الشعبية الساهرة التي تقام بمناسبة العرس، ثم صارت كلمة السامر تطلق على ذلك النوع من شعر المواويل الذي يؤدّى بطرق جماعية بالتناوب بين فريقين. ويتبنى هذا الرقص (السامر) مناطق جنوب فلسطين، أما في شماله فيقال له السحجة يلازمها المعنى، يلتزم بجناح في السحجة ويغني آخر في الجناح الثاني، وتبدأ المباراة (الأغاني) بإشعار شعبية لها أوزان، يقابله الفريق الآخر بأشعار بنفس الوزن، وعادة تهدف هذه الأغنيات إلى مفاهيم مثل الكرم والبخل والشجاعة والخوف، الغنى والفقر وغيرها.[1]

(الأفراح والأتراح، الغناء، الزواج ومراحله والأعراس):

من سلوكيات مختلفة بعض الشيء، تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بابنها. ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه. وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم ومؤجل عند المسلمين)، يذهب ثلة من

الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً، وتبدأ الخطوات بالخطبة. ويتجلى ذلك بعادات وتقاليد الناس في البلد أهمها الأفراح:

(1)الخطبة :من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف. وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرى العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها، لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية. وفي بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث عن الفتاة. ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم، ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة، فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها. وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة، بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتمتدح خصال العائلة والمجتمع، ويكون الحديث طويلاً حقاً كما وجدته في عمان مثلاً. وقد قرأت فيما مضى خطبة عم الرسول صلى الله عليه وسلم (أبو طالب) ليخطب خديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً ومروءةً وأمانة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي". ويتم العطاء وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات، وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً. عندها تسمع النساء الموافقة فتأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات، ويقدم الشراب. ومن الأغنيات التي تقال:

ع الزنزلخت ع الزنزلخت

ريتك يا حلوة من حظي وبختي

بدك أبادلك ببادل بختي

بدك مصاري بدفع مليونا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية

وصاروا يطلبوا في البنت مية

صاح العزابي بيابيي

منللى مصاري أجيب المزيونة

التحضير للزواج :يدفع الشاب مهر عروسه حسب الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغير ذلك. وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب. وقبل حفل الزواج تنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة، إذ يحملنها وهي موضوعة بصناديق وصواني وأطباق وبقج، وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج :تقام السهرات ويقال لها التعليلة، وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام، وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة. كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكة. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل، إلى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا، وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس.

ينهمك أهل العريس وأقرباؤهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان، وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء. وعند العصر تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس، وفي كثير من الحالات تحل مشاكل وتوثق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها أغنيات بقولهن:

يا محمرة يا مبودرة

وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانة ما أطلع

إلا الحاملة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس

عنتر عبس عريستا

عريسنا ابن الكرام

ابن العريس عريسنا

عريسنا زين الشباب

زين الشباب عريسنا

واللي يعادينا بنذبحه

ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة، ويُحلى صدر الحصان بالقلائد والحلي، وأغلبها من الذهب الخالص. المزخرف ويجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره، وكذلك الحال حصان العروس.

ومن الزغاريد التي تحيي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا

إيه ويها ولا تشمت بنا شامت

إيه ويها ويها حنا إن رحلنا

جعلناك الدلو وحنا إن نزلنا

جعلنا بيتك الغالي

العتابا: تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية وتستخدم الفخر والمديح، وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني. وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة، وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين

بقلبي ناصبات العين ماضين

كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن

ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل، والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال

حير الجدال لو مال

وبوكي لا قبل قبل فضة ولا مال

أكيف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة وكل منها معانيه ولحنه، منها:

زريف الطول ودلعونا :ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك

يللي رابيه بدلال أمك وأبوك

يومن جانا خبر أنهم خطبوك

شعر راسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا

نسم يا هوا الغربي الحنونا

بالله إن متت ياما اقبروني

بأرض بلادي بفي الزيتونا

الغزيل :وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر، وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة، بينما تختلف قافية الشطر الرابع والأخيرة وتنتهي بالمقطع (با)، وهذا ناتج عن عبارة أهلاً.

يا غزيل يا بو الهيبا

يا غادي يا معذبا

زرتو وشرفتونا

أهلاً وسهلاً ومرحباً

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم والافتخار والغزل وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم القيم.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول ويتباريان بأقوال موزونة بمواقف حيوية معينة، على سبيل المثال السمرة والبيضاء، وينتصر الرجال لأي فريق. وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل. وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين. ومن هذه الأغاني:

قالت البيضاء:

اسم الله علينا

يا ورد مفتح حوالينا

يللي سافرتو عودوا الينا

لا تطيلوا لجفا تزيد الهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس

واحنا المحارم بيد العرايس

روحي يا بيضا باللبن ما يص

واللي بهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ماخذ السمرا ويش بدك فيها

يا رمل البحر تنو يجليها

في البير الخارب ووالله ارميها

واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف :هي أغاني الدبكة، تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عال عين يا بو الزلف

عين الزلف ليا

قلبي جريح الهوا

وانتي الدوا ليا

جفرا ويا هالربع

عا البير نشالي

يا زنرا بالطقم

فوق الطقم شالي

ولادة المرأة: عندما تلد المرأة تخرج القابلة لإعلان النبأ، فإن كان المولود ذكراً تعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت

إيه ويها وع فراشها ما نامت

إيه ويها ولك الحمد يا رب

ايه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر

إيه ويها عيش وأكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنا

ايه ويها وما نال إلا اللي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود أذكراً أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة.

إيه ويها وقفت حمامتن

أيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي

إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل :تحاول الأم هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحة، وتأخذ بالغناء ويدعى هدهدة:

نامت عيونك

وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة

على مخلوق ودامت

ويقولون أيضاً:

للي له يا حمامة

هللي له تينام

وافرشيله الأخضر

والوساید وريش النعام

ترقيص الطفل :وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافقها أغنية كالتالي:

ميمته يا ميمته

يا ربي تخليه

وتخليه لمويمته

وتكحلله عينيه

وإن شاء الله بيكبر

وبيحمي هالشياب

ويحمل على جنبه

سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان :وهي متنوعة، وليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغان عامة. غير أن هناك أغانٍ بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا يا شلبي وناولو لأمه

يا دموعو لغالية نزلت ع كمو

ومطهريا مطهر امسح بالشفرة

لا توجعلي رياض ابن الإمرا

اللعب مع الغناء :تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل. وعندما يصبح الطفل قادراً على فهم ما يقوم به، يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب، منها مثلاً:

يا منيمسة يا منيمسة

يا حبة القريمشة

بعثتني معلمتي

اشتري راس البصل

وقع مني وانكسر

بوق بوق

يا أم الحلق والدبوس

قيمي إيدك يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي، إذ يحمل الأب طفله على ظهره وتلف الأم يده حول رقبة والده، فيقول الأب:

أنو فوقي

ويرد الطفل: عبد الطوقي

الأب: شو بدو

يرد الطفل: حمص مقلي

وينزل الأب طفله قائلاً: طيح نقي.

أغاني الشتاء: يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياساً من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شتي

على صلعة ستي

ستي جابت صبي

سمته عبد النبي

حطته بالطنجرة

طلع صحن مجدرة

حطته بالبير

طلع راسه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي

بيتنا حديدي

عمنا عبد الله

كسر الجرة

شتي وزيدي

على طريق سيدي

سيدي بالمغارة

ذبح قطة وفارة

سيدي في البرية

بيطبخ لبنية

وهناك تغنى بالأعياد:

بكرة العيد بنعيد

بنذبح بقرة السيد

والسيد ما له بقرة

بنذبح بنته هالشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

يا طيور طايرة

يا مراكب سايرة

سلمي ع أمي وابي وقولي جبينة راعية

ترعى غنم ترعى سخول

وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف). ومن الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار

بعده التين ما نور

ما نور إلا الزيتون

يا زيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

طاق طاق طاقية

رن رن يا جرس حول واركب على فرس

لعبة الدائرة مع القفز :تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض ويقفزن معاً قفزات متوازنة ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا

مثل عمود الهوا

وحدة كبيرة

وحدة صغيرة

وحدة طويلة

وحدة قصيرة

وحدة بترجع لورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكوروالإناث:

- **لعب البنات** :لعبة الإكس (الحيز)، والزقطة (القال)، الغماية (الطميمة)، الخويتمة (الخاتم والأصبع)، نط الحبل، لعبة الخمسات.
- **لعب الذكور** :كسر البيض – البنانير (الدحل)، لعبة الكورة، لعبة المنه، لعبة الغزة (توضع عصاة متينة في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعصاه، والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز)، لعبة كرة القدم، وسباق الركض والسحاسيل.

الصيد: كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد، حتى كان منهم من يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل النقيفة أو بالفخ، بالدبق، بالشبك، بالفخاخ، وجمع الفراخ من أعشاشها. وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

المراجع:

(1)الموسوعة الفلسطينية خاص ج2 – حسن عليمي

(2)الموسوعة الفلسطينية خاص ج4 – فكتور سحاب

(3) تجارب شخصية

الفصل السابع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري، المطابق للاستعمار الأوروبي بل وزائد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم. التقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وجدت بريطانيا مصلحتها في زرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الاتصال بين الجناح العربي الأفريقي والجناح الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب إلى كيانات هزيلة تابعة للاستعمار. تلاقت المصالح، فأصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور المشؤوم في 2 تشرين الأول (أكتوبر) 1917م، الذي ينص على منح الصهاينة وطناً قومياً في فلسطين، بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب. عملت بريطانيا ثلاثين عاماً (1918-1948) على تنفيذ هذا الوعد بكل السبل، رغم الاحتجاجات العربية، مستخدمة القسوة والقمع. أنجزت تأمين الوعد بكل مقوماته: المؤسسات، الأبنية، ميناء حيفا، مصفاة البترول، مطاري اللد وقلنديا، شبكات المواصلات، المعسكرات، السجون، الدوائر الحكومية. كما سهلت الهجرة اليهودية، فارتفع عدد اليهود من 56 ألفاً إلى 650 ألفاً. سلمت بريطانيا كل هذا للعصابات الصهيونية عند انسحابها، تاركة للفلسطينيين البيوت المهدمة والسجون والتشريد.

إليكم أبرز المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية بحق عرب فلسطين:

1. **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة :(31/12/1947)** عند باب مصفاة بترول حيفا، ألقى صهاينة قنبلة من حافلة مصفحة على عمال عرب، فقتلوا عدداً منهم. ثار العمال العرب (من القريتين) على العمال اليهود في المصفاة وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. ردت المنظمات الصهيونية بمهاجمة القريتين ليلاً، وأمطرت المنازل بالرشاشات والقنابل اليدوية لمدة ساعة، فسقط 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقت 10 بيوت.
2. **مذبحة قرية سعسع (قضاء صفد) :(14/2/1948)** شنت عصابة البالماخ هجوماً على القرية، دمرت 20 منزلاً فوق ساكنيها، وأسفر الهجوم عن 60 شهيداً (معظمهم نساء وأطفال).
3. **مذبحة رحوفوت :(27/2/1948)** نسف صهاينة قطار الركاب "القنطرة" قرب مستوطنة رحوفوت، فاستشهد 27 عربياً وجرح 36.
4. **مذبحة كفر حسينية :(13/5/1948)** هاجمت عصابة الهاجاناه القرية ودمرتها، فاستشهد 30 عربياً.
5. **مذبحة بنيامينا (1948/5/27 و1948/5/31) :**نسف قطاران: الأول أسفر عن 24 شهيداً و61 جريحاً، والثاني عن 40 شهيداً و60 جريحاً.
6. **مذبحة دير ياسين :(9/4/1948)** ارتكبتها منظمتا الأرغون (بقيادة مناحيم بيغن) وشتيرن، بالتنسيق مع الهاجاناه. راح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من المدنيين العزل. كانت هذه المذبحة وسيلة من وسائل البطش لتفريغ الأرض من أصحابها.
7. **مذبحة الطنطورة :(22/8/1948)** هاجمت كتيبة 23 من لواء ألكسندروني القرية ليلاً، وقتلت حوالي 90 شاباً من سكانها، وجمعت جثثهم وطمرتهم في حفرة. كشف تفاصيلها طالب جامعي يهودي في رسالته لاحقاً.

8. **مذبحة قرية الدوايمة :(29/10/1948)** هاجمت الكتيبة 89 من منظمة ليحي بقيادة موشيه ديان القرية. حاصروها وقتلوا كل من صادفوه. احتمى 75 مسناً في المسجد وقتلوا. لجأت 36 عائلة إلى مغارة وقتلوا جميعاً بالقنابل والرشاشات. ألقيت الجثث في بئر القرية. أقيمت مستعمرة "أماتزيا" على أراضيها.
9. **مذبحة يازور(قرب يافا) :(22/1/1949)** بعد 30 يوماً من مقتل 7 جنود صهاينة بلغم، أمر قائد عمليات الهاجاناه (يغآل يادين) قائد البالماخ (يغآل آلون) بالهجوم. قاد إسحق رابين العملية، ونسفت القوات العديد من المنازل ومصنع الثلج، مما أسفر عن مقتل 15 فلسطينياً نياماً. وقعت الجريمة بعد قيام الدولة، ونشرت تفاصيلها عام 1981.
10. **مذبحة شرفات :(7/2/1951)** تسلل نحو 30 مسلحاً صهيونياً من القدس إلى القرية، ونسفوا بيت المختار بمن فيه. سقط 10 قتلى (3 نساء و5 أطفال) و8 جرحى من النساء والأطفال.
11. **مذبحة بيت لحم :(26/1/1952)** في ليلة عيد الميلاد، نسفت دورية صهيونية منزلاً قرب بيت جالا، وقتلت صاحبه وزوجته وطفليه، وجرحت طفلين آخرين.
12. **مذبحة قرية قلمة :(29/1/1953)** هاجمت سرية صهيونية معززة (120-130 جندياً) القرية بالهاون، فدكت بعض البيوت وخلفت 9 شهداء و20 جريحاً.
13. **مذبحة قلقيلية :(10/10/1953)** بعد فشل محاولات احتلال القرية، هاجمها جيش إسرائيلي بكامل عتاده (كتيبة مشاة، كتيبة مدرعات، مدفعية، 10 طائرات). قاوم الأهالي والحرس الوطني ببسالة وأفشلوا الهجوم مرتين. لكن العدو عاد للمرة الثالثة، واحتل مركز الشرطة وتابع تقدمه يطلق النار على البيوت. كانت الحصيلة حوالي 70 شهيداً وخسائر مادية كبيرة.
14. **مذبحة قبية :(15/10/1953)** قامت بها الوحدة 101 بقيادة أرييل شارون. هاجمت القرية بدعوى الانتقام لمقتل امرأة يهودية وطفلها. أسفرت عن سقوط 19 قتيلاً مدنياً، ونسف 41 بيتاً، ومسجد، وخزان المياه. أبيدت أسر كاملة. تعد هذه المجزرة نموذجاً سافراً للإرهاب الصهيوني.
15. **مذبحة دير أيوب(29/5/1954) :** أسرت دورية صهيونية ثلاث بنات (8-12 سنة) كن يجمعن الحطب، وأطلقت عليهن النار، فاستشهدت اثنتان وأصيبت الثالثة.
16. **مذبحة نحالين :(29/5/1954)** توغلت قوة إسرائيلية من 300 جندي مسافة 4 كم داخل الضفة الغربية، وألقت قنابل على تجمعات سكانية في قرية نحالين، وزرعت الألغام في البيوت والمسجد. استشهد 11 وجرح 4.
17. **مذبحة كفر قاسم :(29/10/1956)** عشية العدوان الثلاثي على مصر، فرض الجيش الإسرائيلي حظر تجول مبكر على المنطقة، وأصدرت القيادة أوامرها بقتل كل من يخالفه. على مدار ساعة ونصف، قتل 49 مواطناً عربياً (منهم نساء وأطفال) وهم عائدون إلى منازلهم، وجرح 13. تمت محاكمة بعض الجناة، ولكن سرعان ما صدر عفو عنهم جميعاً.
18. **مجازر العدو الإسرائيلي في خان يونس :**شن الإسرائيليون على خان يونس غارتين عام 1955م، زاعمين أن المقاتلين الفلسطينيين ما زالوا ينطلقون منها ومن مخيمات اللاجئين قربها إلى إسرائيل للقيام بعملياتهم. ووقعت الغارة الأولى في 30 أيار 1955م، وكانت حصيلتها استشهاد عشرين عربيًا وجرح عشرين آخرين. والثانية في مساء 31 آب 1955م، واستهدفت مع خان يونس بلدة بني سهيلة. وقد استخدم العدو في هذا الهجوم الأخير مختلف أنواع السلاح الأرضي من مدفعية ودبابات ومجنزرات وقوات مشاة من سلاح الهندسة. وقاوم الأهالي بضراوة وكبدوا العدو الكثير من الإصابات، إلا أن التفوق الساحق للعدو اضطر فئات الحرس الوطني إلى الانسحاب والاحتماء في مخفر الشرطة، حيث استمرت المقاومة لفترة أخرى من الزمن. وفي النهاية، تمكنت مجموعة من سلاح الهندسة الإسرائيلي تحت حماية القنابل وستار

الدخان من الاقتراب من المخفر فنسفته بما فيه. وكانت حصيلة الغارة استشهاد 46 عربيًا وجرح خمسين. وفي 12 تشرين الثاني 1956، قام العدو الصهيوني بالهجوم على خان يونس ومخيم اللاجئين، واحتل البلدة والمخيم، وقتل منهما 275 شهيدًا، وذلك بإطلاق الرصاص عشوائيًا على أهالي المخيم فقتل 111 لاجئًا في المخيم.

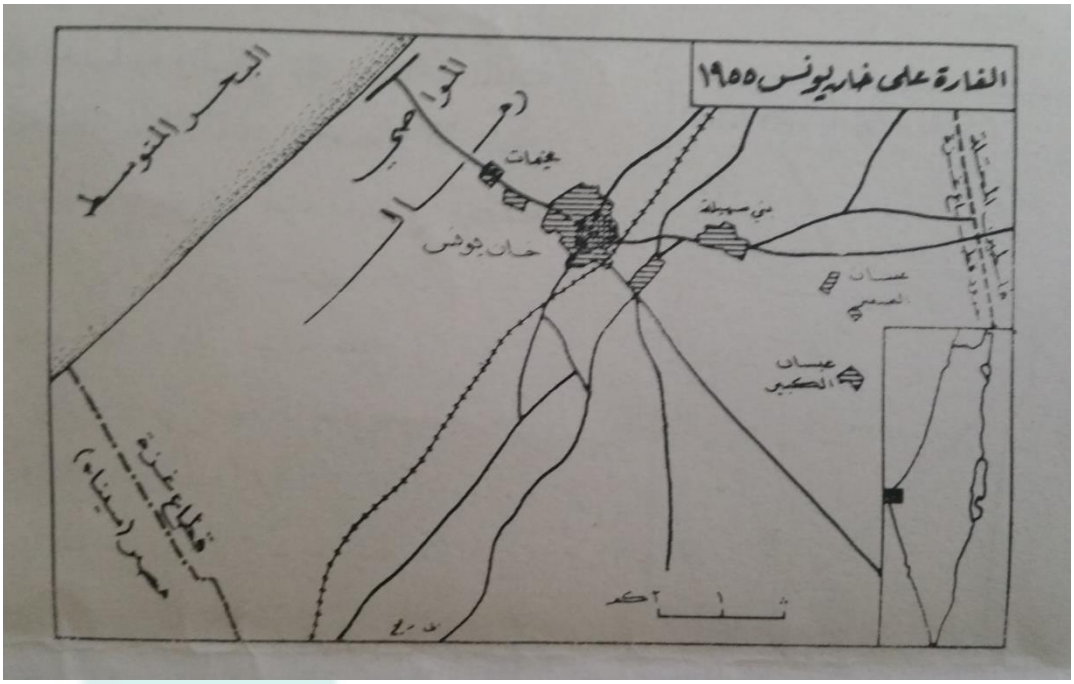

حرب 1967م وخطة إسرائيل باحتلال بور سعيد عن طريق خان يونس ورفح

وما أن سارت مجموعة من القوات الشمالية الإسرائيلية المكلفة بإسقاط خان يونس ورفح والتوغل نحو الساحل باتجاه بور سعيد، حتى اصطدمت بمقاومة جيش التحرير الفلسطيني ذي التسليح الخفيف. وشنت المجموعة الأولى من الرتل الإسرائيلي هجومًا عنيفًا على بلدة خان يونس، غير أنها أخفقت، فكررت الهجوم مرات عديدة لمدة يومين، وكانت القوات الفلسطينية تردها وتدمر مدرعاتها. وتحت التحدي والضغط، اضطرت المجموعة إلى ترك خان يونس محاصرة والتوجه إلى رفح. واستنفذت المجموعة ما بقي لديها من احتياط، فعزز الرتلين المدرعين برتل ثالث، فتصدت لهما القوات المصرية بالأسلحة المضادة للدروع، مما اضطر القوات الإسرائيلية إلى التحول نحو العريش، والتقدم باتجاه الشيخ زايد وإلى مناطق العريش.

المراجع:

1. الموسوعة الفلسطينية، ج6، ص 520، ياسين
2. المصدر نفسه، ص 522
3. المصدر نفسه، ص 525
4. المصدر نفسه، ص 530
5. فلسطين في الذاكرة
6. جميع المجازر الواردة مصدرها (الذاكرة الفلسطينية - إنترنت)

الفصل الثامن: أدب المقاومة السلمية

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دورا رائدا في مقاومة الطامعين بأرض العرب وبشكل خاص فلسطين وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني وتنبه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر واستعدوا له بالعلم والمعرفة وانخرط نشاطهم في وحدة العرب وكان المتنورون منهم يسعون إلى وحدة العرب فقوتهم بوحدتهم ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية فقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هد جمعهم ونشأت الجامعة يسبعه دول وصارت الآن 21 دولة فضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها ونحن نرى أن جاء الدور على الاسلام يجردونه من الرحمة والسلام والإخاء يزورون ويشوهون المفاهيم والحقائق ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم يحرمونها على شعوبهم ويحللونها لعدوهم الذي ضبعهم بخلق عدو جديد يهرولون في نجدتهم وهم أصل الفتن والبلاء.

إنني يا أخوتي عندما أكتب عن القرى التي باتت مدنا وبلدات في فلسطين رأيت ولمست أبناء هذا الشعب كم هو جبار حقاً إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلالة وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات وقد فعل ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين وتتجلى بما يلي المجموعة بالصراع السياسي-الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.[2]

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمنهم فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام وجريح بيروت وعنترة العبسي وصلاح الدين الأيوبي ومملكة أورشليم وطارق بن زياد وفتح الأندلس وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924-1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الاسباني في المغرب وذلك بين عامي 1927-1928.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها فأقبلوا على التمثيل ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

---

[2]: الموسوعة الفلسطينية خاص مج5 ص 25

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس، وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1-4-1936 وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي).

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918 ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914 ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929.

وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م وله مجموعتان "ذكاء القاضي" "والعدل أساس الملك" أو" لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و" فلسطين لن ننساك" وفي عام 1934م أمام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف لمسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار-غرام الميت-قبلة المحبة – صراع بين العلم والإيمان....إلخ".

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية.

"وطن الشهيد" عام 1947 "شيخ الأندلس" 1949 "حرب القادسية" 1951م "الفداء" 1968، وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897 مسرحية "مصرع كليب" 1947 " أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966 وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة وهي "نساء وأسرار" و" صبر وفرج"، " قيصر روسيا ومصرعه"، " أصل شجرة الميلاد".

وكتب غسان كنفاني من المسرحيات الباب، والبني، وجسر إلى الأبد وصدرت جميعها سنة 1978 بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة

الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية نوعين من الرقابة فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية) خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية " أنا راجع يما" لمسرح آذار ومسرحية "رجال في الشمس" (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية(الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه.

وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967 وقد قدمت كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس-بنادق السيدة كرام-الملك هو الملك-والحضيض-الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6 و 7 و 8/ 9/1982 وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل.

وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي" وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي فنشأت في عام 1982 المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولايزال على مرأى وسمع العالم كله. (1)

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) ل ناظم حكمت وتجدر الإشارة الى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين وقد لفت النظر الى نشاط فرقة الفنون الشعبية(بلالين)ومدى تطورها وما فدمته من رقصات شعبية وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973 إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت الى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة.

وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلا-لين) ودبابيس وكشكول وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973 واتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وايليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم والمسرحيات التي ل(بلالين)هي قطعة (حياة والعتمة) ونشرة أحوال الجو والكنز تع تخرفك يا صاحبي، ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة مثل (قطعة حياة) و(العتمة)

2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).

3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).

4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء واغزاه (الكنز).

5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).

6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدرس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها، ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم بستان (بلالين) وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973 إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

وفي 28-4-1975 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و(كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول عام 1973 واتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.(2)

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع) فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية لكع بن لكع راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته وكل مشهد وحدة مستقلة ويصدر حبيبي مسرحية بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع " واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب، والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً) فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم/ فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم.

موسوعة الفلسطينية مجلد 4 خاص ص 233 محمود شريح ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الافرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه.

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو مجنونة بدر وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الانسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه، أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الانسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي وسعادية هو اليهودي وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها، ولغة المسرحية نستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم أبي ليلى المهلهل الكبير" فتظهر اقتباسات حبيبي منها ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم.

قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850) وأنجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم، بدر)، وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية، فنزلا إلى المدينة للعلاج فاستأجرا

بيتاً فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية فأسسا شركة " كوندور فيلم" عام 1927 في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر.

كان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة لأفلام والفنانين السينمائيين) في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وابراهيم الاما اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

- بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) ولد بتشيلي في 1907/4/23 وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته الى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه ابراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى كوندر فيلم، وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947 أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. وبعد وفاة بدر: اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949 والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951 والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة) والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير).

وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام وتوالت النكبات على العائلة ودب الخلاف بين ابراهيم وزوجته انتهى بموت ابراهيم في ليلة 12 مايو 1953، وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر.

فلم تقم الا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله ابراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

- فيلم قبلة الصحراء عام 1927.
- فيلم فاجعة فوق الهرم عام 1928.
- فيلم معجزة الحب عام 1931.
- فيلم شبح الماضي عام 1934.
- فيلم معروف البدوي عام 1935.
- فيلم الهارب عام 1936.

- فيلم عز الطلب عام 1937.
- فيلم نفوس حائرة عام 1938.
- فيلم الكنز المفقود (قيس وليلى) عام 1939.
- فيلم رجل دين بين امرأتين عام 1940.
- فيلم ابن الصحراء عام 1942.
- فيلم صلاح الدين الأيوبي عام 1941.
- فيلم عريس الهنا عام 1944.
- فيلم البيه المزيف 1945.
- فيلم البدوية الحسناء عام 1947.

إبراهيم لاما سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء) إذ عرض في سينما " الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية وبعها قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928 بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948 والقافلة تسير عام 1951.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة وعمل مع كبار النجوم مثل" فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الإستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت ابراهيم (انتحاراً) في ليلة 1953 بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع:

(1)الموسوعة الفلسطينية خاص – واصف أبو كمال ج76 ص 129
(2)الموسوعة الفلسطينية خاص – محمود شريح ج76 ص 168
(3)الموسوعة الفلسطينية خاص – محمود شريح ج76 ص 169
(4) أعلام فلسطين – محمد عمر حمادة ج1, ج2, ج3, ج4, ج5, ج6, ج7, ج8

الفصل التاسع: سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل"

كانت قرية أرطاس وساكنيها من عرب 1948م من المناطق المقهورة منذ احتلالها، ومن اللحظة الأولى التي مرت عليها فلسطين في الحرب العالمية الأولى(1) .

انتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت: من ثورات الأعوام 1929م، و1936م، و1948م. وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح، فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض، ويخربون ويسرقون ما طاب لهم، وذلك بغياب أهل البيوت الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة، ويحظروا التجوال في القرية.
كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعونهم في مركز آخر، ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح. وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار، يهدمون بيته بالمتفجرات. وكم هُدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين.

ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود، ومنحهم كل عوامل القوة، مثل:
كنت من سكان عكا، وفي عام 1947م، وفي شهر آب، سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف. وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق سينما البرج فوق بوابة عكا القديمة. وما هي إلا لحظات، وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء، وهي تمشي باتجاه البوابة، وأمامها شخصان بلباس جنود إنجليز، ويصرخون على الناس في الشوارع بالتزام المحلات. ولما خرجوا من البوابة، لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة، وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت)، وعليها رشاش مركب على حامل. ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية، أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً. ولما رأى رفيقه ما حصل، وكان يسوق السيارة، ولحق بهم. وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم، وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد. وأخذت طريقاً مختصراً أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجدت الجندي قد سبق سيارة الإرهابيين ووقف وراء الرشاش. وما أن اقتربت سيارة الإرهابيين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع والهروب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة، وقتل سائقها، وانقلبت السيارة. وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فأخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم ناراً حامية. وكان الأولاد أمامي، عندما يرى أحدهم بين الزرع فيصرخ للجندي بقولنا: "مستر، مستر، هذا واحد!" فيلقى مصرعه(2) .
وبعد أن تم الجندي مهمته، دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره، ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي". ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاؤه. واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.
والهدف كان عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا. إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء، ويحفرون جدار

السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود. وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود، ثم تبعهم السجناء العرب.

أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية. عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين، أخبر الضباط الإنجليز رؤساء اليهود بهذه السيارة. ولما وصل الحنيطي إلى عكا، حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا، وواصل طريقه. وبعد مغادرته عكا، سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً، وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات، واستشهد هو وزملائه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة نيتسكن. وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنجليز في رأس الناقورة. ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.

توجه أربعة من مهندسي الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين. وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها. وتناولها الحاجز الثاني، وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة، وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه. لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي، حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض، وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً: "امشوا فوق جثثهم". وقد حاولت بدوري أن أدوس، ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر، ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً. وبين رعشات رجلي وهي تدوس، وكأنني أدوس على فرشة إسفنج، ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً. هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال، من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية، وما لديها من إعلام وما أكثرها، في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم. وأركز على البعض منها:

- أن فلسطين هي أرضهم، وأن اليهود وُعدوا بها، بينما الآثار تثبت عكس ذلك. وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر، ويوليوس اليوناني في القرن السابع ق.م، وطيطس الروماني في القرن الأول ميلادي.
- أن الدين اليهودي يشكل قومية، وهذا مخالف لكل مقومات القومية. فالدين اليهودي معتقد، وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندنافي، واليهودي الخزري باليهودي الإفريقي. وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة، لا تجمعهم لغة أو دم، وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.
- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية، وإن الواقع غير ذلك.

➢ فمصر كانت تحكم بنظام ملكي مرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، وقناة السويس كانت تحت الاحتلال البريطاني.

- وسوريا كان لها جيش مستقل تنقصه التدريبات والأسلحة. ولم نتأكد من وجود جيش سوري فعلي إلا بعد أن انضم له ضباط فلسطينيون، وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا، ولا يعنيه حرب إسرائيل من قريب أو بعيد.
- واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال، وتحت حكم الإمامة الذي كان إمامهم يبيع طوابع البريد في ديوانه.
- والسعودية التي كان ملكها مشغولًا بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية، وليس عنده القدرة على تحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول، وبشكل خاص الشركات الأمريكية. وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني، أن رجوا منه أن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد، لا أن تساعد الصهيونية. ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي لو تحقق، لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.

- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمتها، علمًا أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية، خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة. إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال، واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.
- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدرب احتياط.
- قبل الهدنة الأولى، كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية. تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة. إذ استغل الصهاينة هذه الهدنة، فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل قتالية غربية جديدة، ومنها الطيران، فيما لم توجد طائرة واحدة عربية دخلت أرض فلسطين.
- تم إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية، التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحيانًا، مثل الأسلحة المصرية، حيث كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور.

كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة، والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتلها في قناة السويس.

الهجرة في زمن النكبة عام 1948م

تقوم سياسة الصهاينة على أساس تفريغ الأرض الفلسطينية من سكانها وإحلال اليهود محلهم. وركزت دعاياتهم على أن فلسطين خالية من البشر، وعززوها بوعد أسطوري بأرض الميعاد، ولا بد من الرجوع إليها، أي للشعب الإسرائيلي حتى يعمرها، إذ أنها أرض السمن والعسل. وقد جذبت هذه الدعاية الماكرة يهودًا من كل أنحاء المعمورة. وقد ركزت رئيسة وزراء العدو (جولدا مائير) في خطاباتها بقولها: (إن أرض الميعاد أرض بلا شعب لشعب بلا أرض). وقد شاعت هذه

الأكذوبة وصدقوها. ولما كان الإنجيل نسخة معدلة للتوراة، فإن المسيحيين قد أخذوا بهذا منذ وقت طويل، وأرضها أرض السمن والعسل، إذ أغرت زعماء أوروبا ورجال دينها بغزوها، فكانت الحروب الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن، إذ تحررت ورجعت للأمة العربية.

في عام 1977، كنت في بريطانيا في بعثة لليونسكو لمدة ثلاثة أشهر للاطلاع على المناهج الدراسية وحياة الشعب فيها. شاهدت بعض العائلات اليهودية التي غررت بهم الصهيونية، إذ تركوا أعمالهم في مناجم الفحم وذهبوا مع عائلاتهم إلى فلسطين. وسرعان ما شاهدوا المزارعين الفلسطينيين يعملون بكثرة في مزارعهم، وشاهدوا بيوتهم وقراهم ومدنهم وبياراتهم وبساتينهم، فانكشفت لهم حيل وأكاذيب الصهيونية، وصمموا على العودة إلى إنجلترا. ولكن السلطات ماطلتهم، فلجأوا إلى القنصلية البريطانية في القدس فساعدتهم بالعودة، وكانوا يحكون القصة للناس ويحذرون الآخرين من كذب الصهاينة.

لقد استغل الصهاينة أبشع الأساليب غير الإنسانية في محاولاتهم التخلص من العرب وإجبارهم على الرحيل عن ديارهم. ونتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة والدول العربية المجاورة لفلسطين، وتم تدمير 385 قرية عربية وإزالتها من خريطة فلسطين وذلك عام 1948م.

وبعد عام 1967م

في هذا العام، استولى الجيش الإسرائيلي على كامل أرض فلسطين وسيناء والجولان. وقد اتخذ هذا الاضطهاد والتخريب كرد فعل لما فعله الأوروبيون بهم، وبشكل خاص في ألمانيا. وقد اتخذ هذا الإجراء أشكالًا عديدة منها:

- صودرت أراضي قريتي "أقرت" و"كفر برعم" بموجب قانون تملك الأراضي الذي أقره الكنيست في 30 شباط 1953م، واستولت السلطات الإسرائيلية على أراضي أقرت في 3 أيلول 1953م.
- طردت سكان قرية الجلمة غرب منطقة جنين من أراضيهم واحتلها الصهاينة، كما قامت بترحيل بدو النقب.

وقد أصدرت السلطات الإسرائيلية في عهد حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي استهدفت التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من مدنهم وقراهم (الموسوعة الفلسطينية، مجلد خاص، ص 346، حسن عبد القادر):

1. **قانون كتساف (كولسو) لعام 1979م** :يقضي هذا القانون بمنع شركتي الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السلطات المحلية غير قانونية، والتي اضطر أصحابها إلى إقامتها بسبب زيادة عدد السكان وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى. وقد تضرر من هذا القانون حوالي عشرين ألف مواطن عربي وستة آلاف منزل، خاصة وأنه طُبق بأثر رجعي.
2. **قانون كتساف للتحسينات** :ينص هذا القانون على فرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين، مقابل تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية الحديثة، وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

3. **قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة :**يؤدي هذا القانون إلى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ عهد الانتداب البريطاني وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي، حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء عن الأراضي. وتمت مصادرة 150 ألف دونم من أراضي 17 قرية من قرى الجليل. وقد صدرت هذه القوانين في 7 كانون الثاني 1982م، وضمت هذه الأراضي المصادرة إلى المجلس الإقليمي للمستعمرات الصهيونية في المنطقة (مشّاف).
4. **تحديد حرية الانتقال :**استعملت السلطات العسكرية لفرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن، إذ تحولت هذه المناطق إلى سجن كبير، يحظر الخروج منه أو الدخول إليه إلا بتصريح من الحاكم العسكري الذي كان يرفض منح هذه التصاريح، حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.
5. **تحديد أسعار خاصة بالمحاصيل الزراعية :**إذ منعت سلطات الاحتلال المواطنين العرب من التصرف بمحاصيلهم الزراعية وفرضت عليهم تقديمها إلى شركة يهودية. ففي خريف 1952م، استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.
6. **تحديد أجور العمال العرب :**حيث حددت السلطات أجور العمال العرب، فيتقاضى العامل العربي أجرًا أقل من أجر العامل الإسرائيلي والكفاءة واحدة. وكذلك بالنسبة للوظيفة، فإن راتب الموظف العربي أقل من راتب الموظف اليهودي مهما كانت كفاءته. وقد أصدرت بتاريخ 26 كانون الأول 1981م نشرة "هستدروت" باللغة العربية، أوضحت الفرق بين العامل الإسرائيلي والعامل العربي من المناطق المحتلة.[3]

الاضطهاد التعليمي

وضع الصعاب ووضع المناهج الصهيونية وفرضها على المدارس العربية. وأكثر من 40% من دروس التاريخ مخصصة في المناهج التعليمية وتفرض على العرب تحت الاحتلال، وهدفها حرمان العرب من تاريخهم وحضارتهم وتزيفها.

- إن 22% من اليهود في فلسطين المحتلة يتعلمون على حساب الحكومة، ولا يمنح طلاب العرب سوى 15.7% من المواطنين العرب.
- إن عدد صفوف الابتدائي في المدارس العربية في العام الدراسي 1981-1982م أقل من العدد المطلوب بحوالي 1400 صف. وكذلك يعاني التعليم في المدارس العربية من نقص المؤهلين والمثقفين. وفي عام 1961م، تألفت اللجنة العربية اليهودية لإلغاء الحكم العسكري. وفي آب/ أغسطس 1959م، أعلن بن غوريون عن سياسة جديدة تخفف من القيود المفروضة على العرب. وتلاه إشكول في تشرين الثاني/ نوفمبر 1966م بإعلان سياسة جديدة أخرى تلغي الحكم العسكري وعلى دمج العرب بباقي السكان، ولو نظرياً على الأقل.

وبعد الصدمة المريرة التي تلت النكسة عام 1967م، انحسرت فكرة الاعتماد على الأنظمة العربية، واستجاب عرب الأرض المحتلة لفكرة الاعتماد على النفس، التي تجسمت بتفجر حركة المقاومة الفلسطينية وغليانها في كل مكان. وقد حاولت إسرائيل كسب أهل الضفة والجولان عن طريق استخدام عرب 1948م للتأثير فيهم. ويقول حبيب قهوجي: إن محاولة إسرائيل فشلت وخاب أملها، وكما قال طوليدانو أحد الناطقين الإسرائيليين في صحيفة هآرتس: "بدلاً من أن

يؤثر عرب إسرائيل في عرب المناطق المحتلة للتعاون مع إسرائيل، وقع عرب إسرائيل تحت التأثير السلبي لعرب المناطق". وبادرت السلطات عندئذ إلى منع العرب من دخول الضفة. تجلت الروح الوثابة الجديدة في المظاهرات الكبيرة التي انفجرت عند وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وحمل المتظاهرون في عكا نعشاً رمزياً للراحل، فيما أغلقت المدارس أبوابها حداداً. وكثيراً ما تظاهر العرب وبعثوا باحتجاجاتهم على التصرفات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، وما أكثرها: كالاعتقالات، ونسف الدور، وحرق الزيتون، وتخريب الأشجار والتربة. وكثيراً ما أعلنوا عن تضامنهم مع السجناء المضربين عن الطعام. وقد عبر حتى السجناء العرب في سجن الرملة عن تأييدهم لزملائهم السجناء من عرب الضفة والقطاع. وقد تجلى تأثير الضفة والقطاع في عرب الأرض المحتلة 1948م، بصورة أوضح في عام 1976م في وقفة "يوم الأرض."

حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي استمالة عرب 1948م في منحهم الحراك السياسي، وشجعتهم في الاحتفال بمرور عشر سنوات بإعلان قيام دولتهم، كما فعلت بمدينة الناصرة. ولكن عرب أم الفحم وغيرها من قرى المثلث، وضمنها الطيبة، لم يقبلوا ويسكتوا على هذه الإهانة. فعقدوا اجتماعاً ونصبوا مكبرات الصوت التي راحت تذيع خطاباتهم الحماسية الوطنية وأناشيدهم القومية التي انتشرت بعد تأميم قناة السويس. ونظموا أول مظاهرة كبيرة بمناسبة عيد العمال، أدت إلى التصادم مع الشرطة ووقوع 18 جريحاً من الشرطة، بينهم عشرة من المتظاهرين. وحدثت مظاهرة أخرى مباشرة في أم الفحم، أسفرت عن إصابة (7) من رجال الشرطة وضابط واحد.

وكانت هذه المظاهرات لطمة للسلطة التي توقعت أن يكون الاحتفال مظاهرة تأييد وابتهاج لها. وإن كسبت الأمة العربية، فسارعت إلى قمع المتظاهرين واعتقلت 133 شخصاً منهم. فيما اتهم بن غوريون الأيدي الأجنبية، ورأوا الأحداث. وقد أدت هذه الأحداث إلى إحداث انشقاق في سياسة الدولة، ومحاولة البعض منهم تخفيف الظلم وإعطاء الحرية للحراك العربي الفلسطينيين. واستغل أفراد القوميين العرب وأسسوا الجبهة الشعبية، والتي تألقت سابقاً وتحالفت مع الحزب الشيوعي واستغلت وضعها، وكانت تعارض السياسة الإسرائيلية للعرب وتطالب بتحريرهم من الظلم. وقد أعطت أحداث أيار/ مايو 1958م مثلاً، كشف أن المؤسسة الإسرائيلية تخضع للمعارضة والمواجهة والمقاومة أكثر مما تستجيب للمسالمة والتفاؤل أو الإيجابية كما تسميها السلطات. وشارك في هذا النقد حتى بعض الدوائر والمؤسسات الحكومية. وبعد أسابيع قليلة، قدم 2000 شخصية بارزة عريضة يشجبون فيها سياسة الحكومة تجاه العرب. مثلت ذلك بيانات ومذكرات تتعلق بذلك.

المراجع:

(1) مشاهدات الكاتب مروان الماضي.
(2) الموسوعة الفلسطينية خاص ص 233 – خالد الفشطيني.
(3) إقامة دولة إسرائيل.

الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد.

أما بعد الانتداب، فماذا فعلت الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها، والذين يقال عنهم "عرب 1948"، وكان عددهم 120 ألف نسمة؟ مارست معهم ما يلي:

سمتهم السلطات المحتلة "سكان 1948"، وأعطتهم الجنسية الإسرائيلية، ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسميًا زمن الانتداب. وكان هذا القرار إجحافًا فرضوه عليهم وجعل حياتهم في جحيم. وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئًا نحو العرب، فأزاحت عنهم الأحكام العسكرية، ومنحتهم حرية الحركة والعمالة المقننة والتعامل بالتجارة والصناعة، وأعطت لبعض القرى إمكانية تأسيس بلدياتها وتأمين ميزانية متواضعة لإحداث المرافق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح البناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات، وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال، وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض.

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها. نذكر بعضها وما أكثر:

- **العمالة :**في الوظائف والعمال، هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات، وكذلك في العمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- **الرواتب :**هناك تمييز بين الرواتب، فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في نفس المهنة ونفس المؤهلات.
- **التعليم :**تعامل السلطات التعليم في أراضي عام 1948 معاملة من الدرجة الثانية، في البناء والمرافق، ثم في الميزانية المقدرة لكل من المدارس العربية ومدارس المستوطنات.
- **السكن :**تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء، لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.
- **وضع النائب الفلسطيني في الكنيست :**مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه في القانون، يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم. وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة لها كلمتها في البرلمان الإسرائيلي، رغم القرارات التي اتهمت أعضاء المجلس بأنهم "الطابور الخامس" وآخرون بأنهم "القنبلة الموقوتة"، وتم طرد بعضهم.

وبعد احتلال إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع مع إخوانهم العرب في إسرائيل، طمعًا بتأثير هؤلاء (سكان عام 1948) على إخوانهم في الضفة والقطاع للتحول نحو إسرائيل. ولم يمض سوى شهور قليلة حتى تبين لهم أن أملهم ضاع هدرًا، وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، وأن العواطف العربية باتت تتلاق، ولم يتغير عند إخواننا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان. وقد خاب ظنهم، وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل بالسلع والمعدات. وطبقت إسرائيل سياسة الحكم العسكري على

الضفة والقطاع. ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته، سياسيًا عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات، ردت السلطات بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاغتيال، كاغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة)، وهو إرهاب دولة. واشتدت المقاومة، وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى، مما أربك السلطات العسكرية. وكان ردها من القسوة بكسر عظام المتظاهرين، وموت الكثير برصاص العسكر، أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي. زد على ذلك السجون التي حوت الآلاف من المعتقلين، حيث قيل (أنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراده السجن).

ومن نشاطات المقاومة، بعض منها وما أكثرها: في يوم الأرض في 30 آذار عام 1976، شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات، وأُطلق عليه "يوم المساواة" (السلام). وقد نظمته المناطق المحتلة عام 1948 ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب إسرائيل. وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي، وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية. رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيين بعدم استفزاز سلطات الاحتلال، إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل ومؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا، وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبرًا شائعًا تشير إليه الصحف. وفي منتصف تشرين الثاني، أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتًا في قرية الطيبة، فأضرب العرب في إسرائيل إضرابًا شاملاً، وأطلقوا على إضرابهم هذا "يوم السكن". وقد ازدادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948.

وفي حزيران عام 1967، احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمتهم من العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى:(انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 آذار/ مارس 1987 إذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة، أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز حيث أطلق الجنود النار في جباليا فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال، وفرض منع التجول على المخيم ومن أحيائها تطاير الشرر وعمت الانتفاضة كل القطاع، ثم امتدت إلى الضفة الغربية وإزاء المشهد اليومي هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلا منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة.

ابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس وهذا التقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد في سبيل أحياء فلسطين كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً إلى صحراء النقب، وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية واستمراراً للانتفاضة وفي ذكرى معركة الكرامة في 21 آذار/مارس إذ رفعت أعلام فلسطين وأقيمت المتاريس في ظل إضراب شامل مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فرض عليهما منذ تسعة أيام وقد تمكنت المجموعات المقاومة بوضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية، وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من ملاحقة واعتقالات.

وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا (1162 شهيد بينهم حوالي 241 طفلاً ونحو 90 ألف جريح ومصاب و 15 ألف معتقلاً وتدمير 1228 منزلاً واقتلاع 140 ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية، كما تم اعتقال 60 ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل بالإضافة إلى الأسرى العرب ولاستيعاب هذا العدد الهائل أفتتحت "اسرائيل" سجون مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب والذي أفتتح عام 1988.

وقد قتل من الإسرائيليين 160 فلسطينياً بينهم خمسة أطفال، حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأميركي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت "إسرائيل" أن للاحتلال تأثير سلبي على المجتمع الفلسطيني كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير عن بحث أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين.

أدت هزيمة صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح في داخل المجتمع الإسرائيلي مما يعني نهاية تهديد محتمل من "الجبهة الشرقية" واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، مما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً على العرب عندما قام الابن جورج بوش استخدام نتائج الحرب على نقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية والدول قرار الجامعة العربية، فجاء مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين وإسرائيل التشاور مع الفلسطينيين حكم ذاتي.

تم إجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في التي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي أدى لانسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدأً بغزة أريحا عام 1994، وتواصل مع باقي المدن الخليل وقلب مدينة القدس، مما يتنافى مع الاتفاق.

كان أن قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين تعترف فيه منظمة التحرير بحق المنظمة إلغاء الإرهاب وبحق إسرائيل بالوجود، المقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية، في المقابل تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل الشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة.

في سبتمبر من عام 1995 تم توقيع اتفاق جديد سمي بأوسلو 2 وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل أي وهو هيئة حكم المجلس الوطني 20 كانون سنة 1965 تم إجراء أول انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية إلى السلطة الفلسطينية في آب/ أغسطس من عام 2004 وتم نقل الصلاحيات والمسؤولية إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمسة مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة والسياحة.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام 1999 ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهاء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو والشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد والتي توضح أن محاولة "اسرائيل" بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (194، 338، 242) تلك إلى جانب عدم تطبيق "إسرائيل" إلى عدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوسلو أو الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة.

واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية ورفض الإفراج عن الأسرى بالإضافة الى استمرار بناء المستوطنات واستبعاد عودة اللاجئين واستبعاد الانسحاب لحدود عام 1967 جعل الفلسطينيين بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة والمحادثات مضيعة للوقت وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي قام رئيس وزراء "إسرائيل" الأسبق آريل شارون باقتحام المسجد الأقصى وتجول في ساحاته وقال أن الحرم القدسي سيبقى منطقة اسرائيلية مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى فسقط سبعة شهداء وجرح 250 وأصيب 13 جندي إسرائيلي وكانت هذه بداية، انتفاضة الأقصى.[3]

بدأت الانتفاضة في 28-9-2000 وتوقفت فعلياً في 8-2-2005 بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثاً ورئيس وزراء اسرائيل آريل شارون.

وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقاتها بالعنف المسلح وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي راح ضحيتها 4412 شهيداً فلسطينياً وجرح 48322 جريح وأما خسائر الجيش الإسرائيلي 334 قتيلاً ومن المستوطنين 735 قتيل ليصبح مجموع القتلى الصهاينة 1069 قتيل و4500 جريح وعطب 50 دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات.

تعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها باجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية، تدمير مؤسسات السلطة، تدمير ممتلكات المواطنين واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.

[3]: الموسوعة الفلسطينية خاص مج5 ص 25

- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المنافقة وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين خوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كماً ونوعاً وفشل إسرائيل في قضائها على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضد المقاومة وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وابادتهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى لكن مكرهم سيرتد عليهم والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

1) انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادي.
2) ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
3) اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
4) إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.
5) مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.
6) تحطيم مقولة الجيش الذي لا يقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيه جندي إسرائيلي وجرح 1422.
7) ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييدا للانتفاضة وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المنافقة لتخدير الناس ولا زالت.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول "إسرائيل" توظيف الصراعات العربية بعضهم ببعض فجمدت مفاوضات السلام التي نبذتها ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ربيبة الاستعمار هذه الأيام وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني نتينياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتآمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب وتعاون مخابراتهم مع من يكرهون شعوبهم.

إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتهم بالإرهابيين فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين بزيادة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة حتى سكان 1948 لم يسلموا من التنكيل باعتبارهم عرب وأطلقت العنان لعصاباتها من المتشددين العبث بأملاك وأرواح عرب فلسطين بغية تطفيشهم من حرق بيوت مع ساكنيها وحرق شجر الزيتون وقطع اشجار الفواكه وتجريف التربة والاعتقال المبرمج للنشيطين آخرها يوم الجمعة في 14 تموز/ يوليو 2017 إغلاق المسجد الأقصى المبارك الذي يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين وتصميمهم في تهويد كل

فلسطين والأمم المتحدة خانعة لا تقوى على نصرة المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد "إسرائيل" على ما تقوم به ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً.

وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحديا سلطات الاحتلال والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة طالبين الشهادة ويبرهنوا للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف بإصابات من قنابل الدخان والرصاص المطاطي والاعتقالات ومضاعفة الجرحى وشعب القدس صامد ووراءه أهله في فلسطين، لم يعرف الغرب بعد بأن الصهيونية باتت عبئا عليهم وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم ودورها باحتلال الكونغرس, والبنتاغون ثم البيت الأبيض هذه الأيام.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان ويبقى التغيير في النظم حاصلاً والعدل والمساواة ونبذ الظلم وتحقيق العدل هو سمة البشر ضد الأشرار.

المراجع:

1) الموسوعة الفلسطينية (خاص)، ج6، ص 1006، شفيق الحوت وبيان نويهض
2) المصدر نفسه، ص 1008
3) الموسوعة الحرة: ويكيبيديا

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
بيت أولا الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا

عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس
عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا